الحصاد

AL-HASAD Issue No: 176 / May 2026 | العدد ١٧٦ / أيار ٢٠٢٦ | مجلة شهرية تُعنى بقضايا الوطن العربي والعالم

وسط تهديدات متبادلة بين الطرفين بإشعال المنطقة

في الحرب الأميركية ـ الإيرانية لم ينتصر أحد!

الحصاد

AL-HASAD

العدد ١٧٦. أيار ٢٠٢٦. Issue No: 176 - May 2026

مجلة شهرية، تجعل من قضايا الوطن العربي والعالم محط اهتمامها، ماضياً، حاضراً ومستقبلاً

تصدر في لندن عن شركة Candour Communications Ltd.

رئيسة مجلس الإدارة ورئيسة التحرير:
إبتسام محمد سعيد أوجي

أعضاء مجلس الإدارة:
د. مازن الرمضاني
أمين الغفاري

المدير الفني:
حسين حمّود

ثمن النسخة :
٣ جنيهات سترلينية او ما يعادلها

الاشتراك السنوي :
٣٠ جنيهاً سترلينياً

لإعلاناتكم على صفحات «الحصاد»

E-mail: hussein@hhammoud.com

"Al-Hasad" Head Office:

Lincoln House,
137-143 Hammersmith Road,
London W14 0QL (UK)
Telephone: 00 44 (0) 2076027055
00 44 (0) 7956229072
Fax: 00 44 (0) 2076035533
E-mail: info@alhasad.co.uk
Website: www.alhasad.co.uk

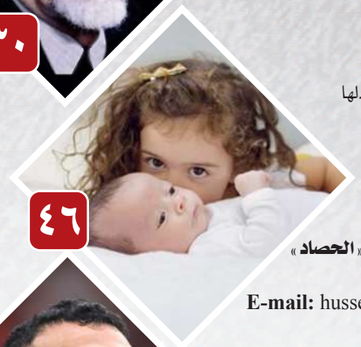

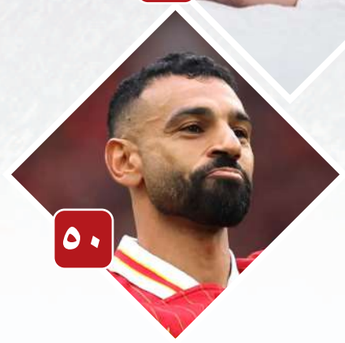

في هذا العدد

ص

موضوع الغلاف ٤
الحرب الأمريكية الإيرانية.. لم ينتصر أحد!

مستقبلات ٢٠
رؤية شاملة لظاهرة الصراع الدولي

قضايا أدبية ٢٤
الحربُ في لبنان، الكلمة في الميدان

معارض ٣٦
الدورة تتزامن والاحتفاء بالرباط عاصمة عالمية للكتاب لعام 2026

رياضة ٥٠
هل صلاح هو المحترف الأكثر تأثيراً في تاريخ الدوري الإنجليزي؟

كلمة «الحصاد»

بين الموت والدمار... وبين بناء النفوس أو تدميرها

إلى أين؟

لأن العالم أصبح قرية صغيرة، يحق لنا التساؤل، هل كان ذلك خدمة للبشرية أم بلاءً ووباءً غير قادرة على الفكاك منه؟

نبتهج بكلّ تقدمٍ علميّ جديد على أمل أن يكون سبيلاً لعالَمٍ أكثر إنسانيةً وأوسعَ صدراً، يحتوي الناس ويؤمن أنّ الإنسان قيمة لا يصح التفريط فيها بلهَ انتزاعها وإبادتها، مع ذلك يُستخدم العلم لتحطيم الأمم ويزيد من قدرة المفسدين على الفساد ويعمي قلوبهم (إنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور).

نسمع ونقرأ الكثير من الناس وقد اختلطت الأمور عليهم، يريدون اتّباع الحق فيجدون أن الباطل أسرعَ وأقوى وصراع الحق والباطل متشابكا يتطلبُ منهاجاً يصعب استنباطه. ولأننا أمةٌ قدرُها أن تكون وسطَ العالم وتزخر بموارد إنسانية وطبيعية ما فوق الارض وما تحتها أصبحت بلادنا مطمعاً لكل القوى المعتدية وبكل الأساليب، خيرُها وشرُها، ويصرخ المؤمنون أنه آنَ الأوان أن تتجهَ أبصارنا إلى بوصلةٍ جامعة موحدةً لقرارٍ طال انتظارنا له.

(بوصلتنا أمّتنا العربية، أمنُها، حريتها، سلامها، خيراتها لأبنائها وليس للأخرين)، لم نكسب من التشرذم الّا الضعف والعَجْز، ما يجمع أمّتنا الكثير، لغة واحدة ينطقها ويفهمها كل سكان هذه الأرض، دينٌ سماويٌ بعثه الله في هذه الارض ليوحّد سكانها وإن بشرائع متتابعة على مرّ العصور، والإيمان بالله واحدٌ لدى الجميع، ثقافة وعلومٌ وعقولٌ قادرة على أن تقدّمَ الافضلَ في كل المجالات، وفوق هذا وذاك قوةٌ بشريةٌ لا يُستهان بها لو وُضّعت بما يُبدي طاقاتها على الوجه الأكمل. ومع ذلك نجد أغلبَ أقطارنا تستورد عقولاً أجنبية وتظنها خيراً من أبنائها.

من قال أن الحرب الإسرائيلية الأمريكية على إيران جاءت لتحطيم إيران وحدها؟ بل سياق التاريخ لو أستوعبناه حقاً يقول: إنها جزءٌ من حربٍ على (الهيمنة) على الأرض العربية من شرقها إلى غربها ومن شمالها إلى جنوبها دون استثناء.

أما آنَ الأوان أن يفكرَ العرب بأنهم قادرون أن يكونوا قوةً إقليمية تحمي بلادهم وشعوبهم وخيراتهم كما يفكر أيُ شعبٍ من شعوب العالم؟

ذكرتُ سابقاً أن نهاية الحرب الإيرانية ـ الإسرائيلية الأمريكية ستكون بالمفاوضات وتقسيم المصالح فيما بينهم... «هذا لي وهذا لك».

ويبقى ألعرب بإنتظار ماذا؟. ■

إبتسام

الحصاد

عزيزي القارئ

تفتح مجلة الحصاد ابوابها لأستقبال اجتهاداتكم وأرائكم واقتراحاتكم الفكرية والسياسية والأدبية وكذلك تعقيباتكم على الآراء التي تنشر على صفحاتها وإن كان ذلك يتطلب مراعاة الأعتبارات التالية:

- أن تكون لغة التحرير هي اللغة العربية التي تصدر بها المجلة وان يراعى في الكتابة الوضوح وسلامة النص.
- ان تتصف المقالات والدراسات بالموضوعية.
- يجوز للمجلة مراجعة الكاتب ان تضمن المقال بعض الأشارات الملتبسة أو التي لاتتفق وأهداف المجلة.
- ترحب المجلة بالحوارات الموضوعية والتعقيبات التي تنشر بها وكذلك بأي ردود فكرية او تصويب وهي فضلا عن ذلك ترحب بنشر التقارير عن المؤتمرات والندوات التي تعقد هنا او هناك.
- المقالات والدراسات المنشورة تعبر عن رأي اصحابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.

زوروا موقعنا على الرابط:
www.alhasad.co.uk

وسط تهديدات متبادلة بين الطرفين بإشعال المنطقة

في الحرب الأميركية ـ الإيرانية... لم ينتصر أحد!

■ لهذه الأسباب يصعب التعويل على تحالف عربي تركي مع باكستان!

القاهرة: صفاء عزب*

«لقد فقد ترامب سيطرته على الحرب، وتقديراته الخاطئة لقدرة إيران على الرد أدخلت المنطقة في حالة تصعيد خطير..، ولن يضمن إعلان الولايات المتحدة «نصراً شكلياً» منع إيران أو حلفائها من إعادة بناء قدراتهم».

تصريح صادر عن السيناتور الأمريكي كريس ميرفي قبيل إعلان هدنة الأسبوعين وسفر الوفدين الأمريكي والإيراني للتفاوض الأول برعاية باكستانية في إسلام آباد. وهو تصريح يخفي وراءه حالة من عدم الرضا الأمريكي عن سياسة ترامب وخوضه الحرب ضد إيران، وانتقاده حتى مع إدعائه تحقيق النصر على الإيرانيين.

وكما اعتبر المفاوض الأمريكي نفسه منتصرا في الحرب على خصمه، أعلنت إيران أيضا أنها انتصرت رغم خسائرها الفادحة، واعتبرت خطوة الجلوس إلى الخصم الأمريكي على طاولة المفاوضات جاءت من موقع قوة استنادا إلى انتصارها في الحرب، وربما كان ذلك سببا في فشل المفاوضات وعودة المفاوضين آنذاك لبلديهما وسط تهديدات متبادلة بإشعال المنطقة بعد حصار القوات الأمريكية لمضيق هرمز وما أعقبه من تصعيد خطير في المنطقة. وبصرف النظر عن مزاعم كلا الطرفين في الانتصار على الآخر، فإن هناك سؤالا يفرض نفسه في خضم هذه الأحداث: أيهما يكفل المصلحة للعرب؛ أن تخرج إيران من الحرب منتصرة أم خاسرة؟ وهو سؤال لاح في الأفق وتردد كثيرا في الغرف المغلقة سيما بعد أن تسببت إيران في خسائر اقتصادية وبشرية كبيرة لدول الجوار وخاصة دول الخليج. وهو ما خلق حالة من السخط الخليجي على إيران، ازداد مع استمرار هجماتها ضد جيرانها العرب، فهل يعني ذلك أن تكون المصلحة العربية في تدمير إيران والتخلص منها؟

الوفد الإيراني المفاوض

الوفد الأميركي المفاوض

لا أحد منتصر!

لقد جاءت إجابة هذا السؤال بشكل مباشر على لسان مسؤول خليجي كبير قبل عام وتحديدا أثناء حرب الإثنى عشر يوما التي اندلعت إثر قيام إسرائيل بشن هجمات على المواقع الإيرانية العسكرية والمدنية في يونيو الماضي بينما كانت هناك محادثات بين أمريكا وإيران لإيجاد حل تفاوضي سلمي لقضية الملف النووي الإيراني.

لقد قال الشيخ حمد بن جاسم رئيس وزراء قطر الأسبق وقتها «ليس من مصلحة دول الخليج أن ترى الجارة الكبيرة إيران تنهار، فمثل هذا الأمر سيؤدي حتما إلى فلتان مدمر للأوضاع وستكون عواقبه شديدة». وهو تصريح تأكدت حكمته بعد أحداث الحرب التي شهدتها المنطقة خلال شهري مارس وإبريل الماضيين وما نتج عنها من كوارث وأزمات خطيرة على كل المستويات والأصعدة.

وإذا لم تكن إيران قد حققت الانتصار العسكري بمعناه التقليدي، لكن من ناحية أخرى كانت سيطرتها على مضيق هرمز هو وجه آخر للانتصار؛ فالقدرة على إغلاق المضيق أو التحكم فيه هي أهم "أوراق القوة" التي تمتلكها إيران، ما يعني تحويل هذه الورقة من تهديد محتمل إلى واقع سياسي مفروض يهدد المصالح العربية وكذلك الأمريكية.

بمراقبة تطورات الحرب الأمريكية الإسرائيلية على إيران نجد أنه لا يوجد منتصر فائز ولا مهزوم خاسر وكلا الطرفين حقق بعض المكاسب وتكبد كثيرا من الخسائر ومن ثم فإن الحديث عن نصر إيراني لا محل له على أرض الواقع. وقد بدت ملامح خضوع إيران وتراجعها مع التحركات الأمريكية لمواجهة سيطرتها على مضيق هرمز والحصار الأمريكي الخانق للمضيق لإجبار إيران على العودة لطاولة المفاوضات من جديد.

في ظل الصراعات المكتومة بين العرب وإيران والتنازع على بسط النفوذ في المنطقة فإن الأفضل للعرب العمل على تغيير السلوك الإيراني بما يمنعها من فرض السيطرة والنفوذ ولكن دون تدميرها الكامل حتى لا يخلق فراغا أمنيا يهدد بفوضى عارمة في المنطقة كلها، ويثير المخاوف من الهيمنة الإسرائيلية الكاملة على المشهد الأمني في الشرق الأوسط دون رادع لو غابت إيران عن المشهد.

ولكن تبدو المشكلة الحقيقية في السلوك الإيراني الاستفزازي تجاه جيرانها، فعلى الرغم من محاولات جيرانها رأب الصدع والتمسك بضبط النفس وتجنب الحرب والدفع نحو الحلول التفاوضية، فإن هناك غصة لدى دول الخليج من تصرفات إيران العدوانية تجاههم في أحيان كثيرة. كما لاتزال هناك خلافات كتلك التي أثارتها بسيطرتها على خليج هرمز خلال الحرب وتهديدها الدائم بغلقه ثم مطالبتها بالحصول على رسوم نظير السماح لعبور الناقلات على الرغم أن هناك دولة أخرى خليجية تشاركها مشاطئة الممر المائي الحيوي وهي سلطنة عمان، وهو ما ينذر بتكرار الأزمات بين إيران وجاراتها العرب، الأمر الذي يستلزم ضرورة إعادة صياغة العلاقة مع إيران في إطار من التوازن المحكوم بأوراق سياسية واستراتيجية تمتلكها الدول العربية بما يكفل تلافي أي خطر من جهة الجارة ذات الأطماع الفارسية.

مربع رعب وردع

بالتوازي مع الخطر الإيراني، وعلى الجانب الآخر فإن استمرار التهديد الصهيوني ككيان سرطاني في الجسد العربي يتطلب مواجهة عاقلة ومقاومة فعالة لأطماعه في المنطقة خاصة لبنان وفلسطين وسورية. لقد وضعت التطورات السياسية والعسكرية الأخيرة في الشرق الأوسط العرب في موقف صعب بين مطرقة إسرائيل وسندان إيران، لذلك بدت هناك حالة ملحة لكيان إقليمي له وزن وقوة مستمدة من قوة أعضائه، يمكن بها مواجهة المطامع الإسرائيلية من جهة وكفالة التوازن الإقليمي مع إيران من جهة أخرى بما يحفظ المصالح العربية وعلى رأسها الأمن القومي العربي الذي تعرض لتهديدات خطيرة في الفترة الأخيرة.

ومن هذا المنطلق كان خبر الاجتماع الرباعي بين مصر والسعودية وباكستان وتركيا في إسلام آباد نهاية مارس الماضي، بهدف دفع الجهود الدبلوماسية نحو التوصل إلى تسوية للحرب الأمريكية الإسرائيلية/ الإيرانية، بمثابة أمل جديد لدى الشارع العربي، أثار ارتياحا متناغما مع هوى شعوب المنطقة، في خلق تكتل قوي بطابع عربي إسلامي يحقق التوازن والردع للخصوم والأعداء في نفس الوقت.

وربما جاءت تصريحات وزير الخارجية التركي هاكان فيدان أثناء الحرب الأمريكية الإسرائيلية على إيران قبل الهدنة منسجمة مع هذا الأمر حينما قال: "باعتبارنا دولا تمتلك قدرا من النفوذ في المنطقة، سنبحث كيفية توحيد قدراتنا من أجل حل المشكلات. آمل أن نجتمع ونتعلم كيف نحل مشكلاتنا بأنفسنا، أو ستأتي قوة خارجية لتفرض حلولا تخدم مصالحها، علينا أن نثق ببعضنا البعض، ونتخذ مواقف مشتركة"، وهو تصريح له وجاهته في ضوء توابع التصعيد الخطير بالمنطقة مع كثافة الوجود الأمريكي العسكري وزيادة العدوان الإسرائيلي بدعوى مواجهة إيران.

لاشك أن إقامة هكذا تحالف بين مثلث القوى في الشرق الأوسط؛ تركيا ومصر والسعودية، وبين باكستان تلك الدولة الأسيوية النووية، يخلق كيانا له ثقله العسكري والاستراتيجي والاقتصادي. فعلى المستوى العسكري عندما تتحالف مصر صاحبة أقوى جيش عربي مع تركيا، التي تمتلك ثاني أكبر جيش في حلف الأطلنطي «الناتو» ولها صناعات دفاعية متطورة، مع السعودية ذات الثقل المالي والديني وحليفتها الباكستانية ذات القوة النووية الوحيدة في العالم الإسلامي، لاشك أنه يصبح كيانا ذا ثقل كبير ويثير الرعب لدى الخصوم.

كما تكون له أهمية استراتيجية كبرى نظرا لسيطرة دوله على ممرات مائية حيوية بالنسبة للعالم بداية من مداخل الخليج العربي مرورا بمضيق باب المندب ووصولا لقناة السويس. كما يحمل هذا المكون قوة اقتصادية ودينية رمزية كبيرة في داخله خاصة المملكة العربية السعودية بثقلها المالي والديني ككعبة للمسلمين من كل أنحاء العالم، وهو ما يمنح

الاجتماع الرباعي بين مصر والسعودية وباكستان وتركيا

شرعية إسلامية وشعبية كبيرة لمثل هذا التحالف.

جبهة صد عربية إسلامية محصنة

إن النجاح في تحقيق التحالف بين هذه القوى الإقليمية الأربعة يسهم في خلق كيان إقليمي جديد قادر على فرض نظام إقليمي قوي كجبهة عربية إسلامية مواجهة للأطماع الإسرائيلية في خلق شرق أوسط جديد تسيطر عليه، ومن ثم يقطع الطريق على دولة الاحتلال الصهيوني في التفرد بالقرار خاصة بعد الحرب على إيران. وفي نفس الوقت فإن ثقل هذا التحالف بأضلاعه الأربعة ذات الطبيعة الدينية السنية يجعله جبهة للتصدي لمحاولات إيران التدخل في شؤون جيرانها لبسط نفوذها، ويحمي المنطقة في نفس الوقت من توابع تراجع النفوذ الإيراني «ولو المؤقت» والفراغ الذي يمكن أن تتركه إيران بسبب الحرب، حيث يحول مثل هذا التحالف بين استغلال هذا الفراغ في حدوث فوضى في المنطقة، بل ويسهم، بما يمتلكه من مقدرات كبيرة، في عمليات إعادة الإعمار في مناطق الصراع خاصة في لبنان واليمن وسورية والعراق.

وبطبيعة الحال فإن تحالفا بهذه القوة يكون مستقلا عن الضغوط الدولية ويصبح قادرا على إدارة الأمور بعيدا عن مخاوف الصدام مع واشنطن أو حتى بكين، حيث تكون دوله محصنة ضد أية إجراءات عقابية.

ومن الناحية الاقتصادية فإن مثل هذا التحالف يجعل محيط المربع الذهبي محورا لوجيستيا عالميا مركزه الخليج العربي ويمتد منه شرقا في قلب آسيا عبر باكستان، كما يمتد غربا تجاه مصر في إفريقيا وتركيا في أوروبا.

لكل ما سبق فإن النجاح في تحقيق هذا التحالف يعد فرصة عظيمة وتاريخية لاستعادة الدور العربي والإسلامي المفقود، ومواجهة مخاطر التوسعات الإسرائيلية في الشرق الأوسط، بما يسهم في استعادة الحقوق العربية المسلوبة.

عقبات وتحديات

ولكن إذا كان ذلك مطروحا على المستوى النظري، فهل تتيح معطيات الواقع السياسي الإقليمي والدولي تلك الفرصة لتحقيقه عمليا؟

عندما نخرج من الإطار النظري إلى الواقع المعاش نصطدم بالعديد من التحديات والكوابح التي تعرقل خروج هذا التحالف إلى النور وذلك لأسباب بعضها يتعلق بالدول نفسها، وأخرى تتعلق بالتحديات الدولية.

فلا يمكن تجاهل الاختلافات وتباين الرؤى السياسية بين بعض الدول في مشروع التحالف؛ منها وجود تنافس تاريخي بين تركيا والسعودية على قيادة العالم الإسلامي، ولازال هذا التنافس موجودا في الخلفية رغم تحسن العلاقات. كذلك يؤدي الحرص على الأولويات الاقتصادية في هذه الدول إلى العمل على تجنب أية صدامات يمكن أن تدخلهم في صراعات تهدد الاستقرار وخطط التنمية لديهم.

كما أن باكستان كدولة مقيدة بظروف معينة محيطة بها تجعل قدرتها على الالتزام بتحالف استراتيجي طويل الأمد في الشرق الأوسط قدرة مقيدة بعوامل جيوسياسية واقتصادية متشابكة، حيث تعيش باكستان أزمة اقتصادية تجعل قرارها السياسي رهن المساعدات الخارجية للمؤسسات المالية الدولية كصندوق النقد الدولي الذي يعد ورقة ضغط لدى الولايات المتحدة وحلفائها الغربيين لمنع باكستان من الإنخراط في أي تحالف يضر بمصالحهم المباشرة أو مصالح حليفتهم إسرائيل. كما تحتاج باكستان للإستثمارات الخليجية بشكل يضطرها للإلتزام بالرؤية الخليجية التي تميل للتهدئة وليس للصدام.

على جانب آخر فإن أي انخراط باكستاني في صراعات الشرق الأوسط قد يعطل طموحات الصين شريكها الاستراتيجي الأول، وهو ما لا يمكنها تحمل تبعاته. أيضا تحرص باكستان كدولة نووية، على التركيز على حماية نفسها من تهديد جارتها النووية الهند، بما يتعارض مع متطلبات مثل هذا التحالف من نقل بعض ثقلها العسكري والتقني بعيدا عن حدودها إلى الشرق الأوسط. ولذلك فإن باكستان تفضل الدور الذي تلعبه حاليا كوسيط للتهدئة دون الدخول في مواجهات مباشرة. ومن ثم فهي تدعم المحور السعودي التركي المصري طالما أنه سيحقق لها الاستقرار المالي ولا يؤدي إلى حرمانها من المساعدات الغربية أو الصينية.

العرب والحياد النشط

ويبقى السؤال ما الذي ينبغي على العرب فعله لحماية مصالحهم من المخاطر التي تحدق بهم من كل حدب وصوب؟

ليس أمام العرب إلا اتباع سياسة الحياد النشط التي تقوم على تجنب الانجرار لصراع عسكري مباشر مع العمل على الخروج بمكاسب استراتيجية تخدم المصالح العربية؛ في مقدمتها أولوية الأمن القومي العربي باستغلال حاجة أمريكا والعالم لتأمين تدفقات النفط عبر مضيقي هرمز وباب المندب، والحصول على ضمانات أمنية ملزمة تجعل أمن الخليج لا ينفصل عن الأمن العالمي حتى لا يتحول إلى ورقة ضغط إقليمية.

كما يمكن للعرب استغلال ملف إعادة الإعمار لتحقيق سيادة اقتصادية. يضاف إلى ذلك استخدام العوائد الضخمة لزيادة الحصة السوقية العربية في سوق الطاقة بعد تعطل الإمدادات الإيرانية، في تسريع مشاريع «الهيدروجين الأخضر» والطاقة المتجددة، بما يضمن استمرار الريادة العربية للاقتصاد العالمي فيما بعد النفط.

وينبغي أيضا الخروج من فلك القطب الأمريكي والتوجه لمزيد من العلاقات مع روسيا والصين بشكل متوازن يتيح المناورة لتحقيق الأهداف الاستراتيجية.

ويجب على الدول العربية التي وقعت اتفاقيات مع إسرائيل أن تستخدم ذلك كورقة ضغط عليها لمساعدة الفلسطينيين في الحصول على استحقاقاتهم، حتى لا يكون التطبيع بلا ثمن ولا مقابل.

وختاما لابد من توافر التوافق والتنسيق المتبادل بين الدول العربية للحفاظ على المصالح العربية العليا المتمثلة أولا في الأمن القومي العربي، حتى يتمكنوا من النجاح في الوصول إلى مشروع عربي اقتصادي وأمني موحد يضعهم في مصاف القوى الإقليمية الكبيرة القادرة على فرض شروطها على إسرائيل ومناورة الغرب بشكل براجماتي ذكي. ■

* كاتبة وصحافية مصرية

معن بشور*

هل بات نتنياهو وحيدا

الاتصال القصير بين الرئيس الأمريكي ترامب ومجرم الحرب نتنياهو، والذي تناول فيه موضوع وقف الحرب الإسرائيلية على لبنان، كما اشارت وسيلة الاعلام التي وزعت الخبر، قد يكون مناورة ترامبية لاخفاء موقفه الحقيقي من استمرارية الحرب في منطقتنا، او قد يكون تعبيراً عن رغبة ترامب باغلاق كلفة حرب الأربعين يوماً بعد فشلها في تحقيق الأهداف المرجوة منها، وبعد ان بات استمرارها يشكّل تهديداً شخصياً للموقع السياسي الذي يمثله ترامب، بصفته المسؤول عن تنفيذ رغبة نتنياهو بشن هذه الحرب.

في الحالتين، يمكن اعتبار هذا الاتصال تعبيراً عن إحساس ترامب بخطورة الاستمرار في هذه الحرب وانعكاسها على مصالح بلاده من جهة، وعلى مصلحته السياسية من جهة أخرى.

لذلك يمكن اعتبار اتصال ترامب الاخير بنتنياهو تعبيراً عن مساحة تتسع بين المصلحة الامريكية بوقف هذه الحرب وبين مصلحة نتنياهو في استمرارها، وهو ما يتطلب موقفاً من كافة القوى المناهضة للحرب، والتي تلعب دوراً وسيطاً في عملية وقفها وتواصل ضغطها على نتنياهو خلال الساعات المقبلة لكي يدرك ان فعالية مغامراته الدموية في المنطقة قد انتهت.

□■□

«13نيسان» ذكرى يجب أن لا تتكرر

■ قد يكون يوم 13 نيسان 1975 في لبنان واحداً من أهم الايام نشوة في حياة الكيان الصهيوني، والذي لا يمكن لأحد ان ينكر يد تل ابيب وحلفاؤها في التحضير لتلك المجزرة التي اودت بحياة العشرات من اللبنانيين والفلسطينيين ممن كانوا على متن «بوسطة» باتت شهيرة في المفردات المتداولة لبنانياً حول جريمة كان قد جرى الاعداد لها على مدى سنوات من التحريض والفتن المتنقلة بين المناطق اللبنانية كافة.

وعلى الرغم من أن لبنان، بمساعدة بعض اشقائه العرب، لا سيّما في سورية، قد نجح في اطفاء ذلك الحريق الذي بقي مشتعلاً على مدى 15 سنة ، لكن محاولات إعادة اشعاله لم تتوقف يوماً من أطراف متعددة، ابرزها الكيان الصهيوني عبر فتن، واحياناً حروب واحتلالات كان الوعي الشعبي اللبناني، والعقلاء بشكل خاص، كفيلين باطفائها .

واليوم يخشى المواطن اللبناني (الذي كان الدافع الأكبر لأثمان تلك الحروب) ان تتجدد تلك الحرب في بلاده وعليها في الأجواء المرعبة التي تعيشها المنطقة.

لا شك أن اللبنانيين بأغلبيتهم الساحقة، لا يريدون ان تتجرع بلادهم كأس الحرب الأهلية المر مرة أخرى، لكن هذا لا يمنع البعض، هنا أو هناك، ان يسعى لاعادة البلاد إلى أجواء الفتنة الموصلة إلى الحرب الأهلية التي يعتقد أركان المشروع الصهيوني انها تنهي دور لبنان الحضاري من جهة، وتقضي على مقاومته الباسلة التي اذلت العدو غير مرة في العقود الماضية... من هنا فأن اول واجبات القيمين على الأمور في لبنان، في الدولة والمجتمع، ان يعتمدوا في كل قراراتهم وخطابهم مقياساً وحيداً هو اذا كانت الكلمات او القرارات او التصرفات تبعد لبنان عن هذه الحرب فتتبناها، واذا كانت تستدعي التوتر الفتنوي فتتجنبها، وهي سياسات لا تتحقق الاّ بالحوار الجامع الذي يضع مصلحة لبنان ووحدته وامنه واستقراره واستقلاله وكرامته فوق كل اعتبار.

حينما تعود ذكرى 23 نيسان مجرد ذكرى مشؤومة نتعلم منها ونصون بلدنا من شرورها.

□■□

اكثر من صدفة... إنها دعوة

■ انها اكثرمن صدفة، انها دعوة ان تجتمع في يوم السابع عشر من نيسان/ ابريل مناسبات عدة في فلسطين وسورية ولبنان .

انها اكثر من صدفة ان يكون يوم السابع عشر من نيسان عام 1989 هو يوم استشهاد القائد خليل الوزير (ابو جهاد) احد مؤسسي حركة فتح التي اطلقت عام 1965 الثورة الفلسطينية المعاصرة، بل ان يكون 17 نيسان 2004 يوم استشهاد الدكتور عبد العزيز الرنتيسي احد مؤسسي حركة حماس التي جددت انطلاق هذه الثورة، بل هي دعوة ممتدة على طول عمر الثورة الفلسطينية المعاصرة من اجل الوحدة الوطنية الفلسطينية على قاعدة لطالما دعونا اليها، وهي قاعدة التلازم بين الكفاح السياسي والكفاح المسلح، لأن ما من ثورة انتصرت الاّ حين نجحت في تحقيق هذا التكامل، حيث تفتح السياسة أوسع الأبواب للعمل المسلح، وحيث يفتح العمل السياسي الافاق لترجمة إنجازات الكفاح المسلح.

واذا اضفنا الى هذا التلازم بين موعدي استشهاد القائدين الفلسطينيين الكبيرين وذكرى جلاء قوات المستعمر الفرنسي عن سوريا عام 1946، وموعد وقف العدوان الصهيوني على لبنان عام 2026 ، تأخذ المعادلة بعدها القومي في المشرق العربي على طريق ان تستكشف وتستكمل بعدها العربي - الإسلامي.

كما تشهد هذه الأيام التي نرى فيها معاركنا مع العدو تتسع لتشمل ايران والعراق واليمن ناهيك عما نراه من تطور لافت في مواقف مصر والسعودية وباكستان وتركيا .

ان يد الشهيدين خليل الوزير (أبو جهاد) والدكتور عبد العزيز الرنتيسي ورفاقهما في (فتح) و (حماس) وكافة الفصائل الفلسطينية كانت ممدودة الى امتها كافة، بل الى احرار العالم بأسره، كما كانت مركزة على مساحات غزة والضفة الغربية والقدس وعموم فلسطين.

وافضل ما نكرّم به ذكرى الشهيدين الكبيرين الوزير والرنتيسي هو ان نسعى لوحدة العمل الفلسطيني والكفاحي والسياسي، بل تكامل العمل الوطني الفلسطيني مع العمل التحرري العربي والإسلامي والاممي.

فما من مرة توحدت إرادة الأمة وكفاحها الاّ وانتصرت، وما من مرة انقسمت صفوف الأمة وتشرذمت الاّ وانهزمت، فإلى النصر الذي بات قريباً، وعلى مرمى البصر، باذن الله.

* الامين العام السابق للمؤتمر القومي العربي

مفاوضات سياسية «غير متكافئة» بين لبنان واسرائيل

رعاية اميركية وغياب الشهود الدوليين المحايدين

بيروت ـ غاصب المختار*

لم يكن دخول حزب الله في الحرب الى جانب ايران مجرد قرار اعتباطي او متسرّع، فقد كانت كل المؤشرات تدل ان الامور في المنطقة متجهة نحو التصعيد الواسع، بعد الاستعدادات العسكرية الاميركية الضخمة وحشد الاساطيل في الخليج والبحر الاحمر وشرق البحر المتوسط، بما كان ينبىء بأن الضربة قادمة الى ايران ومن بعدها حزب الله في لبنان حسب ما كان يعلن قادة الكيان الاسرائيلي صبح مساء.

وقبل التوصل الى اتفاق على هدنة مؤقتة بين الولايات المتحدة وايران في العشر الاوائل من شهر نيسان الماضي، وبعده، وبغض النظر عن نتائجه المتوقع ان تتظهر بشكل نهائي امكانيات تنفيذ ما يتفق عليه خلال وقت ليس بطويل، لم توقف اسرائيل عدوانها التدميري على لبنان، مرة بغارات ضخمة على بيروت أدت الى عشرات الشهداء ومئات الجرحى. ومرة بغارات على مناطق الجنوب لا سيما سرايا النبطية الحكومي، حيث ارتقى عدد كبير من الموظفين الرسميين شهداء من مدنيين وعسكريين وحصلت اضرار واسعة في الاحياء المدنية.

ولعل شرط ايران ان يشمل اتفاق وقف الحرب كل الجبهات ومنها لبنان، اسفر عن موافقة بيروت وتل ابيب على عقد مفاوضات سياسية مباشرة برعاية اميركية في واشنطن وليس برعاية دولية كما كان يطلب لبنان على ان يتم قبلها تحييد بيروت وضواحيها الجنوبية والشمالية والشرقية عن الغارات، ووضعت اسرائيل للتفاوض ثلاثة شروط: ان يؤدي التفاوض الى سحب سلاح حزب الله من كامل الاراضي اللبنانية، واقامة منطقة عازلة امنية خالية من السكان في الحدود، وصولا لاحقا الى التوصل لإتفاق سلام، مع التأكيد على لسان نتياهو نفسه ان المفاوضات ستجري تحت النار... وهكذا كان في اليوم التالي للإعلان عن موافقة الطرفين على التفاوض حيث تواصل العدوان بشكل مكثف يومي على مناطق الجنوب والبقاع الغربي... بينما كان شرط لبنان الوحيد وقف اطلاق النار والتمسك بالثوابت الوطنية التي سبق ان اعلنها خلال التفاوض عبر لجنة الاشراف على تنفيذ اتفاق تشرين الثاني 2024 (لجنة الميكانيزم). لكن اسرائيل رفضت هذه الشروط وواصلت عدوانها الواسع مستهدفة مراكز رسمية ومستشفيات وفرق الاسعاف والدفاع المدني للضغط اكثر على لبنان، وبموافقة اميركية صريحة عبرت عنها وسائل الاعلام الاميركية والعبرية، برغم الكلام عن ان الرئيس ترامب طلب من نتينياهو تخفيف حجم التصعيد، وهو امر نفته الوقائع الميدانية.

بالتوازي مع التصعيد كانت قوات الاحتلال تحاول التوغل نحو مدينة بنت جبيل لإحتلالها، نظراً لرمزيتها الايجابية في ذاكرة اللبنانيين، والسلبية بنظر الاحتلال الاسرائيلي بعد فشل احتلالها في حرب العام 2006. ولأنها على عقدة تقاطع قرى مهم بين القطاعين الغربي والاوسط للجنوب، ومفتاح الوصول الى القطاع الشرقي لإحتلال مدينة الخيام الواقعة عند سفح جبل الشيخ الذي احتلت اسرائيل الجزء السوري والجزء اللبناني منه، والقريبة ايضا من مزارع شبعا المحتلة، وهي المدينة الثانية التي حاول الاحتلال السيطرة عليها مؤخراً. وايضا حاول الاحتلال التوغل من بلدة الطيبة نحو مجرى نهر الليطاني الفاصل بين جنوب الجنوب وشماله، لتقطيع اوصال الجنوب بعد قصف كل الجسور القائمة على النهر. وقام بتفجير منازل قرى الحافة الامامية الحدودية وتجريفها لمنع عودة الجنوبيين اليها بحجة اقامة منطقة عازلة امنية لحماية المستوطنات في شمال فلسطين المحتلة.

من هذا المنظار التصعيدي الواسع والخطير العسكري ـ الجغرافي والسياسي، يمكن قراءة اتجاهات كيان الاحتلال الاسرائيلي والادارة الاميركية من وراء التصعيد، ومن وراء الضغط للذهاب الى المفاوضات تحت قبة وزارة الخارجية الاميركية وبلا شهود دوليين على التعهدات التي يمكن التوصل اليها. وتحدثت معلومات اميركية عمّا يمكن وصفه تنازل آخر من لبنان بعد التنازل عن الرعاية الدولية للمفاوضات، إذ ذكر موقع أكسيوس: «ان لبنان اقترح على إسرائيل العودة إلى اتفاق تشرين الثاني ـ نوفمبر 2024 والاكتفاء باستهداف التهديدات الوشيكة من الحزب»! وإذا صحّت هذه المعلومات فهي تعني استمرار الضربات الجوية لأهداف تزعم اسرائيل انها للحزب واستمرار الاغتيالات في اي منطقة، كما تعني ان الحزب سيرد على اي اعتداء ما يؤدي الى استمرار الوضع العسكري المتوتر ولو بحدود دنيا.

لكن اشارت مصادر رئيس الجمهورية جوزيف عون الى إن "المسار التفاوضي انطلق ونقطة الانسحاب الإسرائيلي مهمّة جداً، ولبنان لن يفرّط بأي شبر من أراضيه". وان "سفيرة لبنان في واشنطن ندى حمادة أبلغت الرئيس عون أنّ الأميركيين كانوا ممتازين في المحادثات اللبنانية ـ الإسرائيلية.

مفاوضات وجها لوجه برعاية اميركية لا دولية.

مفاوضات تحت النار

جولة تفاوض مباشر

وعلى هذا جرت الجولة الاولى من المفاوضات في واشنطن تحت النار وبتوازن غير متكافيء، وبرغم الكلام عن ضغط اميركي على اسرائيل بعد جولة التفاوض مع ايران، لوقف إطلاق نار في لبنان لمدة أسبوع، غير أن إسرائيل أصرت على فصل الجبهتين اللبنانية عن الإيرانية ومواصلة الضغط العسكري، واعلنت تسريباتها أنه لا توجد أي خطط لوقف إطلاق النار مع لبنان. كما اكد جيش الاحتلال الإسرائيلي انه يعمل على إنشاء مواقع عسكرية إضافية في جنوب لبنان ومضاعفة عددها، وإن طريقة عمل قواتنا في لبنان تشبه طريقة العمل في قطاع غزة. وقواتنا تهدم منازل في جنوب لبنان بهدف إخلاء مناطق وفرض منطقة عازلة، ولاحقا اعلن رئيس اركان الجيش ايال زامير ان الجيش صادق على خطط جديدة للهجوم على لبنان وايران.

ونقلت المعلومات عن مصدر أميركي، «أن التوصل إلى وقف لإطلاق النار في لبنان لم يكن مطروحاً بشكل واضح خلال الاجتماع الثلاثي الذي جمع مسؤولين أميركيين وإسرائيليين ولبنانيين يوم الثلاثاء 14 نيسان. وأن الاجتماع تضمن طرح اقتراح يشمل تدابير لبناء الثقة بين الجانبين، حيث كان أبرز ما قدمه الجانب الإسرائيلي هو وقف إطلاق النار».

مستقبل التفاوض

وهنا يطرح السؤال كيف ستستمر المفاوضات بين لبنان وكيان الاحتلال، طالما ان النزعة الحربية ما تزال تسيطر على المستويين السياسي والعسكري في القيادة الاسرائيلية؟ وكيف سيوافق نتنياهو على وقف الحرب على لبنان وايران بعد كل الخسائر التي تكبدها سياسيا وعسكريا ما سيضعه لاحقا امام محاسبة سياسية وقضائية قد تقضي على مستقبله السياسي؟

وحسب المتابعين، بدا واضحاً أن التساؤلات لن تجد الأجوبة الوافية والحاسمة بسهولة ودقة حول مسار التطورات التي سيسلكها الوضع في لبنان، في ظل مفاوضات لبنانية إسرائيلية منفصلة عن مسار المفاوضات الأميركية الإيرانية، ولكن من دون تجاهل ترابط ما في مناخ وأجواء وحسابات كل من المسارين. ويواجه لبنان خصوصيات حساسة في المفاوضات، إذ إن جانباً إيجابياً برز في عودة لبنان إلى أجندة الاهتمامات الأميركية، خصوصاً أنه أمكن عبرها اختراق الانسداد الذي كان سائداً حيال طلب لبنان التفاوض كخيار لا بد منه لوقف الحرب، ولكن ذلك لا يخفي العوامل المثيرة للشكوك وعدم اليقين حيال ما يمكن أن تفضي إليه المفاوضات نظراً للتعقيدات التي تحوطها، لا سيما اعلان حزب الله رفضه التفاوض السياسي المباشر مع كيان الاحتلال، وما يمكن ان يحصل إذا اتت نتيجة التفاوض على غير ما يريد لجهة إلزام اسرائيل بمندرجات اي اتفاق يضمن انسحاب قواتها من الجنوب وضمان عدم تجدد الاعتداءات واطلاق سراح الاسرى وعودة المهجرين قسراً من اهالي الجنوب والسماح بترميم ما تضرر واعادة اعمار ما تهدم. وهي نفسها المطالب ـ الشروط التي طالما اعلنها رئيسا الجمهورية والحكومة ولم تستجب لها اسرائيل.

وكل ما امكن التوصل اليه بعد جولة المفاوضات الاولى التي اعتبرت تمهيدية ومخصصة لوضع الاطار العام للتفاوض قبل البحث في التفاصيل ومطالب وشروط الطرفين، هو كلام ايراني واميركي عن طلب الطرفين من اسرائيل إقرار وقف لإطلاق النار في لبنان لمدة أسبوع واحد، «كبادرة حسن نية تجاه الحكومة اللبنانية وأن الولايات المتحدة ترغب بتهدئة على جبهة لبنان للتركيز على المفاوضات مع إيران». وكان يفترض ان تبدأ الهدنة يوم 15 نيسان ـ ابريل الماضي وتمتد حتى نهاية فترة وقف إطلاق النار بين إيران والولايات المتحدة. لكن جيش الاحتلال الاسرائيلي واصل ضغطه العسكري على مدينة بنت جبيل وغاراته على قرى الجنوب والبقاع الغربي.

مع تحييد بيروت والضاحية الجنوبية بناء لطلب الرئيس ترامب. وحسب المعلومات الاسرائيلية، «فإن اجتماع المجلس الوزاري الأمني ـ الإسرائيلي المصغر (الكابينيت) انتهى من دون اتخاذ قرار بشأن وقف إطلاق النار في لبنان، وأنه برغم تصريحات الرئيس ترامب، فإن وقف إطلاق النار في لبنان لن يحدث، كما أعلنت قيادة جيش الاحتلال أنها لم تتلقَّ أي تعليمات من القيادة السياسية للاستعداد لوقف إطلاق النار في لبنان، مع عدم استبعاد وقف الهجمات في العمق اللبناني ضمن وقف محتمل لإطلاق النار مع استمرار الهجمات جنوب نهر الليطاني».

وترافق الاعلان الاميركي عن الهدنة مع معلومات اسرائيلية عن حصول اتصال هاتفي بين نتنياهو والرئيس عون، وهو امر نفته اوساط رئاسة الجمهورية. لكن مصادر دبلوماسية كشفت ان الجانب الأميركي والمنسقة الخاصة للأمم المتحدة جينين بلاسخارت يقومان بوساطة بين لبنان وإسرائيل لترتيب اتصال بين عون ونتنياهو. ولاحقا نفت بلاسخارت اي دور لها في هذا التواصل. وبدا ان الهدف من هذه التسريبة هو إحراج الرئيس عون لدفعه الى مزيد من التواصل المباشر مع الكيان الاسرائيلي ومن دون اي شروط او مطالب او عوائق.

الحصيلة، ان الصورة ما زالت ضبابية وغامضة والتصريحات الأميركية والاسرائيلية تحمل تناقضات كبيرة حول التهدئة او استمرار القتال، وهو امر يفتح الباب امام تأويلات كثيرة ليس اقلها ان الحرب الاسرائيلية على لبنان مستمرة ولو بنمط اخف من السابق، لان الهدف الابعد للحرب كما تقول كل الاطراف حتى اللبنانية انهاء الوجود المسلح لحزب الله في لبنان، والتوصل الى اتفاقات لبنانية ـ اسرائيلية ذات طابع امني اولا تمهّد الطريق لتفاوض سياسي حول اقامة سلام او اتفاغق عدم اعتداء وليس بالضرورة تطبيعاً كاملاً في الوقت الحاضر. ■

* صحافي وكاتب سياسي

الأمن والطاقة ودعم لندن لسوريا

برلين للشرع: نريد دولة حديثة تحترم مكوناتها وعود اللاجئين

لماذا محور دمشق ـ كييف ـ أنقرة؟

العواصم تدعم دمشق والبلدات محورا للتحولات وخطوط الطاقة

سوريا: مسار العودة إلى المشهد الدولي

لندن: محمد قواص*

قبل عام ونصف لم يكن أي خبير في شؤون الشرق الأوسط يتخيّل أن رئيس سوريا يمكنه بدعوة رسمية أن يزور لندن وبرلين. كان نظام بشّار الأسد يعاني قطيعة من كافة دول أوروبا وبات رئيسه شخصا غير مرغوب به. وقبل عام ونصف لم يصدف أن استشرف مختص في شؤون سوريا أن يحلّ رئيس جديد في البلاد ذو خلفية "جهادية" ضيفا على المستشار الألماني فريدريتش ميريتس ورئيس الوزراء البريطاني كير ستارمر.

بعد أيام من وصول الرئيس أحمد الشرع إلى دمشق بعد ساعات من فرار الأسد نحو موسكو، تدفق دبلوماسيو أوروبا والولايات المتحدة لملاقاة الحدث واستطلاع طباع أصحابه واستكشاف سبل الدعم الذي بدا غير مشروط. ارتفعت الأعلام فوق سفارات الدول الغربية واحدة تلو اخرى في سياق تبني كامل لما تحوّل في سوريا ودعمه وصيانه شروط بقائه.

واكبت العواصم الغربية تعثّر نظام سوريا في سقطات داخلية دموية مؤلمة. تباطأت تلك العواصم في ممارسة الضغوط المعهودة بهذا الشأن، وحتى عملت على حجبها. وجدت في الصيغ الدبلوماسية عبارات يختلط فيها العتب والغضب والتفهم. ذهب الرئيس الأميركي دونالد ترامب إلى استقبال الشرع في البيت الأبيض بعد أشهر من استقبال الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون له في الاليزيه. رُفعت عقوبات "قيصر". عادت سوريا إلى النظام الدولي، لكن ذلك الزخم الذي لامس حدوده القصوى لم يعد كافيا لانتشال سوريا من مأزقها. فكيف حققت سوريا هذا التطوّر وما معضلات البلد وعقده؟

حرب إيران: عيون على سوريا

تعرف العواصم أنه لو لم يحصل التحوّل الذي قاده الشرع لكانت سوريا اليوم جبهة تقاتل إلى جانب إيران من قبل «مستشاري» الحرس الثوري الإيراني وميليشيات الفاطميين والزينبيين وأي ميليشيات أخرى تابعة لجمهورية الولي الفقيه. تعرف أيضا أن دمشق حشدت منذ بداية الحرب الراهنة قوات على حدود سوريا الشرقية مع العراق والحدود الغربية مع لبنان لمنع انتقال تلك الحرب إلى داخل البيت السوري. وتعرف أيضا أن ذلك الجهد العسكري الأمني لصون الحدود دونه ضغوط داخلية باتت تشكو من أزمة اقتصادية ظهر أن «الزخم» الدولي لم يسعفها.

في زيارته إلى برلين ولندن، في نيسان (أبريل) الماضي، يكتشف الشرع حرص أوروبا على الاستمرار في دعم التجربة السورية. لم تتغير قراءة ألمانيا وبريطانيا للتحوّل السوري بصفته مصلحة أمن استراتيجي للقارة ومدخل حتمي لحلّ أزمة اللاجئين السوريين. لكن الرئيس السوري يكتشف أيضا أن البلدين والغرب من خلفهم بات يجاهر، ودائما بودّ الصديق والحليف، أن تذهب سوريا الجديدة مذاهب متقدمة لإقامة دول عصرية تقوم على العدل والقانون وصون استقرار المجتمع وحقوق الأقليات وتوفّر للاستثمارات الخارجية بيئة قانونية حاضنة.

لكن التحوّلات تظهر في زيارة مفاجئة قام بها الرئيس الأوكراني فلوديمير زيلينسكي إلى دمشق في نفس الشهر. هي أول زيارة لرئيس دولة إلى سوريا في عهد الرئيس أحمد الشرع خلال هذا العام، وهي الثالثة بعد تلك لأمير قطر الشيخ تميم بن حمد والرئيس الفلسطيني محمود عباس خلال العام الماضي. ورغم أن دمشق شهدت منذ زوال النظام السابق سلسلة زيارات عربية ودولية تكشف ماذا تحوّل في سوريا، لكن للزيارة الأوكرانية سيناريو وإخراجا مثيرين للجدل.

كان يمكن لتلك الزيارة أن تكون عادية تقليدية رتيبة تشمل الاستقبال والوداع والبيان المشترك والتشديد على العلاقات التاريخية وكافة الديباجات المصاحبة. لكن رجل كييف القوي وصل على نحو غير معلن ويكاد يكون سريا. أتى بعد جولة خليجية ثم زيارة إلى إسطنبول، وعقد لقاء مع الرئيس التركي رجب طيب أردوغان تم خلالها «تدبير» زيارة عاجلة لضيفه إلى دمشق.

لا تقف التفاصيل هنا: طائرة تركية نقلته ووفده إلى مطار دمشق الدولي مصحوبا بوزير الخارجية التركي حقان فيدان. وبدا أن إنزالا سياسيا تركيا أوكرانيا حطّ في دمشق لتفضح الاجتماعات الثلاثية عن أول ظهور لشيء يشبه محورا من نوع ما قيد التشكل بين أنقرة وكييف ودمشق. وحتى تكتمل صورة الغرابة والمفارقة، يجب التذكير أن زيلينسكي، عدو الرئيس الروسي فلاديمير بوتين الأول، دخل ميدان نفوذ تاريخي لروسيا ليس بعيدا عن قواعدها العسكرية في البلاد.

شيء ما يحاك داخل خارطة تحولات تخترق المنطقة والعالم. يبدو زيلينسكي يتحرك مستفيدا من ظروف الحرب ضد إيران ويحظى بهامش مناورة بسبب تركيز واشنطن على ذلك الحدث الجلل. يحمل حقيبته ويروح يسوّق مسيرات بلاده الاعتراضية، في سوق يفتح ذراعيه لتكنولوجيا حديثة ذاع صيتها، تعترض المسيرات بالمسيرات. أبرم اتفاقات استراتيجية تاريخية مع السعودية والإمارات وقطر، شملت استثمارات خليجية تموّل صناعات عسكرية أوكرانية منها صناعة مسيراتها الاعتراضية الشهيرة.

جرى الهمس في دمشق أن سوريا قد تكون مكانا استراتيجيا لمصانع أوكرانيا ذات التمويل الخليجي. لا شيء رسميا تسرّب. غير أن ما أُعلن يفصح عن تعاون دفاعي قادم. بإمكان دمشق الاستعانة بأوكرانيا التي لطالما امتلكت بنى تحتية لصناعة السلاح الروسي لتكون بديلا عن أي تقاعس روسي يتخلّف عن الوفاء بالاتفاقات. غير أن المواكبة التركية لرحلة زيلينسكي توحي بحرص أنقرة على دعم دفاعات سوريا في وقت بدا أن البلد بات مرشحا بجدية ليكون ممرا استراتيجيا للطاقة من الخليج نحو أوروبا.

لكن القصة من برلين إلى كييف مرورا بلندن قد تكون أكبر من ذلك. فرضت أزمة إغلاق مضيق هرمز بسبب الحرب على إيران إعادة اكتشاف طرق مرور للطاقة كانت مهملة، منها عبور الطاقة الخليجية من مصادرها مرورا بالأردن وسوريا صوب ميناء بانياس السوري أو جيهان التركي باتجاه أوروبا. بات الأمر عاجلا، بالنسبة للمصدرين والمستوردين ودول المرور على النحو الذي يستدرج تحركات العواصم لإعادة احتضان التحوّل السوري كما تحرّك تركيا لإقامة ما يشبه المحور الثلاثي : أنقر–كيفف–دمشق لتأمين بيئة دفاعية للممر السوري والتعويل عليه في تأمين خطوط الوصل بين شرق المتوسط والبحر الأسود. تعيش سوريا المشهد الإقليمي والدولي بصفتها عاملا فاعلا مؤثرا مباشرا. فكيف عبرت سوريا هذا المخاض وما هي مراحله؟

مواكبة دولية

ظهر جليا، ومنذ فجر 8 كانون الأول (ديسمبر) 2024، أي يوم سقوط نظام الأسد، وقبل ساعات من دخول قوات «هيئة تحرير الشام» بزعامة أبو محمد الجولاني (الأسم الذي كان يتّخذه سابقا الرئيس الشرع)، صدور بيان عن وزارة الخارجية السعودية يدعم التحوّل السوري. أظهر الأمر أول تقدّم لرعايات عربية للحدث في سوريا. بالمقابل أظهر تدفق الدبلوماسيين الغربيين، بما في ذلك من الولايات المتحدة، اندفاعا للتعامل مع التطوّر بإنصات وإيجابية. وبدا لاحقا أن عودة فتح السفارات العربية والأجنبية أُلحقت بمواقف صادرة عن عواصم عربية ودولية معنيّة بالشأن السوري بقيت مواكبة وداعمة للدولة السورية الجديدة. حتى أنه، رغم مرحلة اتهامات وُجّهت لدمشق بالتورّط في ارتكاب انتهاكات في أحداث الساحل والسويداء، فإنه كان واضحا أن تلك المواقف حرصت على عدم إدانة الحكم الجديد، كما حال البيانات الأوروبية، ومطالبته بملاحقة الجناة، كما حال البيانات الأميركية، أي الاعتراف بدمشق مرجعا موثوقا للتحقيق والملاحقة والمحاسبةالولايات المتحدة.

وكان واضحا أن سوريا الجديدة باتت قيمة جيوستراتيجية بعد أن فقدت إيران نفوذا على البلد الذي شكّل قاعدة بنيوية لما عُرف بـ «هلال» طهران بيروت، مرورا ببغداد ودمشق. ويُعتبر هذا التحوّل جذريا ومغيّرا لموازين القوى الإقليمية وخرائط النفوذ داخلها. وبدا أن ذلك التحوّل شجع الرئيس الأميركي دونالد ترامب للاستجابة لضغوط سعودية تركية لإعلان من الرياض في أيار (مايو) 2025 عن رفع العقوبات جزئيا عن سوريا، وصولا إلى رفعها كليا بتصويت الكونغرس بعد أشهر.

وقد لعبت الولايات المتحدة دورا مباشرا، لا سيما عبر موفدها إلى سوريا السفير توم باراك، في العمل على تخفيف التوتّر بين إسرائيل وسوريا بعد تصعيد عسكري استهدف البنى التحتية العسكرية، وصولا إلى العمل على ترتيب اتفاق ينظم علاقة الطرفين لا سيما الحدودية، ويوقف الصدام العسكري، بما في ذلك وقف التدخل في ملف دروز السويداء وعدم التدخل، كما لوحظ، في الصدامات بين قوات دمشق وقوات «قسد».

ورغم الاهتمام الأوروبي الغربي، غير أن دمشق اهتمت بنسج علاقات مع العواصم القريبة (لا سيما في العالم العربي) والبعيدة كانت مشوّهة إبّان عهد النظام السابق. كما انتقلت دمشق إلى علاقات متقدمة مع موسكو على الرغم من تورط روسيا في دعم عسكري لنظام الأسد منذ عام 2015. كما نجحت الدبلوماسية السورية في تطوير علاقات مع الصين التي كانت أبدت تحفّظا في التعامل مع النظام السوري الجديد بسبب وجود فصائل جهادية إيغورية صينية معادية لبكين في صفوف قوات دمشق المسلحة.

مسألة المكوّنات

تقوم دينامية النظام الجديد في سوريا على مسلّمة، جرى التوكيد عليها، بالحفاظ على وحدة البلد، والتمسك بمركزية نظامه السياسي، ورفض أي شكل قد يُشتم منه نزوع نحو لامركزية أو الفيدرالية أو كونفدرالية. ولطالما ردّد الرئيس السوري أحمد الشرع رفضه لأنظمة المحاصصة الطائفية أو القومية المنتهجة في الحالتين اللبنانية والعراقية، على سبيل المثال، والتي توزّع السلطة والثروة على ممثلي المكوّنات ما يفقد البلد وحدته وانسجامه. «

السويداء والساحل: مسألة المكونات

غير أن الخطاب الطوباوي الموعود اصطدم بعجزه عن طمأنة المكوّنات السورية، سواء تلك التي كانت تجد في النظام السابق ملاذا أكثر أمانا للأقليات، أو تلك التي لا تثقّ بنظام سياسي جديد لا يحمل مشروعاً موثوقا يعمل على احتضان كافة السوريين تحت جناحه. وفيما برز المكوّن العلوي كحالة نافرة خرجت من بيئته مجموعات من فلول النظام السابق للتمرد بشكل مسلّح في منطقة "الساحل" غرب البلاد، فإن العنف الذي واجهت به سلطات دمشق تلك الحالة في آذار (مارس) 2025، وما واكب الأمر من انتهاكات جسيمة لحقوق الإنسان وسّع الهوة بين ذلك المكوّن والنظام السياسي الجديد.

انسحب أمر مركزية السلطة ووحدة الدولة في طريقة التعامل مع الحالة الدرزية في محافظة السويداء في الجنوب السوري. وعلى الرغم من اعتراف نظام دمشق الجديد بفوضى وعدم انضباط، واندفاع عشوائي لقوات نظامية وغير نظامية أدى إلى الانتهاكات والتجاوزات التي طالت مدنيين في منطقة "الساحل"، وعلى الرغم من تشكيل لجنة تحقيق أقرت بالوقائع وهوية المذنبين، إلا أن سلطات دمشق لم تستطع السيطرة على تدخلها العسكري في محافظة السويداء في تموز (يوليو) 2025، بداعي فضّ اشتباكات اندلعت بين ميليشيات درزية وأخرى تابعة لعشائر عربية في المنطقة.

خلّفت واقعة السويداء انتهاكات دموية واسعة ضد المدنيين، واستدرجت تدخلا إسرائيليا شرسا ضد القوات الحكومية أو تلك التابعة لـ «فزعات" العشائر العربية. وصل التدخل الإسرائيلي المدفوع من قبل قيادات دينية درزية في إسرائيل، إلى حدّ قصف مبنى تابع لقيادة الجيش السوري في دمشق وأطرافا للقصر الرئاسي في العاصمة السورية. وكشف الحدث السوري عن ديناميات إسرائيلية متدخلة في الشأن الداخلي السوري أجبرت دمشق على أخذ ذلك التطوّر بعين الاعتبار. كما كشف التطوّر عن بروز جماعات من داخل الطائفة الدرزية، قد لا تمثّل الطائفة برمتها، لكنها بدت طاغية فارضة لأمرها الواقع، تطالب، بقيادة الشيخ حكمت الهجري، بالانفصال التام عن سوريا من أجل كيان مستقل أو يكون جزءا من إسرائيل.

نهاية أوهام كردية

وجدت الواقعتان في صراع دمشق مع الحالة الكردية شمال شرق البلاد، دينامية متبادلة منطقية تعوّل على نجاح تلك الحالة في ما فشلت الواقعتان في فرضه. وعوّلت شرائح سياسية معارضة في الساحل والسويداء على فرض الحالة الكردية واقعا يتمّ من خلاله الإقرار لها بحكم ذاتي أو شكل من أشكال اللامركزية بإدارة قوات سوريا الديمقراطية (قسد) بقيادة مظلوم عبدي. فنجاح «التجربة الكردية»، كان من شأنه أن يكون سابقة يمكن تعميمها لتشمل قيام أقاليم أو كيانات ذاتية الإدارة في غرب سوريا وجنوبها ترفع أسوارا سياسية وقانونية، وربما أمنية عسكرية، تفصل بين سلطة دمشق والسلطات التي ترعى شؤون العلويين في الساحل والدروز في السويداء.

وقد تحدثت تقارير قريبة من دمشق عن حالات تعاون وتنسيق جرى تسجيلها بين السويداء والساحل و «قسد»، وعن أدلة على تقديم الإدارة الذاتية الكردية في شمال شرق البلاد ملاذات آمنة لآلاف من من جنود وضباط وقيادات فلول النظام السابق. كما أن تقارير محلية ودولية وإسرائيلية كانت تحدثت عن التزام الحكومة الإسرائيلية (على لسان وزير الخارجية جدعون ساعر) بالدفاع عن الأقلية الدرزية والكردية والعمل على حصول إسرائيل على ممر داخل الأراضي السورية ما بين السويداء وشمال شرق سوريا المعروف باسم «ممر داوود». وقد عملت «قسد» على الاشتغال على حرج نظام دمشق من واقعتي الساحل والسويداء وما أنتجته من ضغوط خارجية ومن تقارير إدانة من قبل المنظمات الدولية المختصة، من أجل تحسين شروط المطالب الكردية. لكن المفارقة أن دمشق نهلت بنجاح من دروس التجربتين للتموضع وفق قواعد جديدة في مواجهة التحدي الذي شكلته حالة «قسد» في مناطق الشمال والشمال الشرقي للبلاد.

فقد ظهرت تحوّلات جوهرية في تعامل دمشق العسكري مع المناطق التي تسيطر عليها «قسد» ابتداء من حيي الشيخ مقصود في مدينة حلب غرب نهر الفرات، وصولا إلى محافظتي الرقة ودير الزور في منطقة الجزيرة شرق النهر، انتهاء إلى إبرام اتفاق ينظّم وجود سلطات دمشق داخل محافظة الحسكة. وقامت هذه التحوّلات على تحديث لقواعد الاشتباك، وإدخال أنماط تكتيكية تخلط ما بين الضغوط العسكرية الشاملة والمكثّفة ومنح المدنيين (والعسكريين ضمنا) مُهلا وممرّات آمنة لإخلاء جبهات القتال، ما خفف الأثمان المدنية للمعارك.

وكان لافتا نجاح قوات دمشق في تحقيق حسم ميداني سريع في منطقة كانت «قسد» تعتبرها قلعة تتحصن بالانفاق والأسلحة الثقيلة. وأظهر الأمر سرعة في تراجع قوات «قسد» وانسحابها العاجل، لا سيما من المناطق ذات الأغلبية العربية. لكن لذلك التراجع، إضافة إلى الضغوط العسكرية سبب بنيوي يتمثّل في فقدان صادم لرعاية الولايات المتحدة بما في ذلك عدم دعمها أي مشروع يُشتم منه تمردا أو ابتعادا عن سلطات دمشق. وفيما لم يؤيد المبعوث الأميركي الخاص توم بارّاك فكرة اللامركزية واعتبرها نظاما «غير مناسب وغير ناجح»، وعمل على توصّل الطرفين إلى اتفاق مارس 2025، فإن الرئيس الأميركي كان أكثر وضوحا في التعبير في يناير 2026عن دعم دمشق والرئيس أحمد الشرع ومديح خصاله، بما جعل خضوع «قسد» لموازين القوى خيارا حتميا.

سوريا والجوار: احتضان وحذر

أحدث التحوّل السوري زلزالا جيوستراتيجياً في توازنات منطقة تعايشت مع نظام حكم، في ظل حافظ وبشّار الأسد، طوال 54 عاما. ورغم أن نظام دمشق في ذلك العهد ارتبط بعلاقة ملتبسة متوتّرة مع المحيط الإقليمي وصلت إلى حدود شبه القطيعة مع نظام بشّار الأسد حتى قبل اندلاع صراع عام 2011، إلا أن سقوط هذا النظام أحدث حالة قلق شديدة لدى عواصم المنطقة في ظل مجهول لم يعرفه النظام الإقليمي قبل ذلك.

*صحافي وكاتب سياسي

النص الكامل على موقعنا الإلكتروني

وجهة نظر

«رموا بي من النافذة كفأرةٍ ميتة»

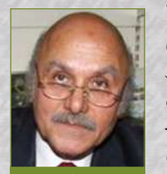

البروفسور
نسيم الخوري*

تقصفنا العظمة الدولية بالصواريخ لتذرينا بما لا يُكتب. كيف تكتب والطائرات والصواريخ فوق رأسك تراقب أصابعك وحفيدك يحبو نحو الأبجدية التي تدفن نفسها لكنها تحرص على بذرة الإنسان الأوّل في هذا الشرق العربي المشتعل اليوم في المحيط وفي قلب وطنك لبنان وبيروت جراح. وطنك؟ لا تحتمل كوارثنا الحبر والكلام هذا الصباح. إنّه العمر والوطن والشرق المرصع بالعيون الصغيرة تصرخ في الجراح لكأننا حجارة تتساقط من أرحام الأمّهات لتمشي أجيالنا أبداً ما بين الموت والحياة قبالة بيروت وقبلها غزّة نكوصاً نحو فلسطين هي في عيون العظمة فلساً من طين يكبّل أجيالنا بإيران وبلبنان والنون أجران طفحت بالدماء وأشلاء الأطفال تتقيّأ المنظمات الدولية خرساء أمام الأسئلة المتراكمة قبوراً وقرى ومُدناً مشلوحة مثل أشلاء الكلاب والأسماك النافقة في المحيطات وعلى أرصفة الطرقات وفي ساحات بيروت حقولاً من الدماء الجرداء...

أعتذر لاستهلالية عاجزة قوامها الدماء والنُعاس والارتجال توخياً لقرع باب «العظمة الدولية» تَوخّياً لأمر سلام لا استراتيجيات السلام وقُل سلالم الإنسانية الخشبية التي آن لها الخروج من رحم المستحيلات.

لأمريكا العظمى التي لا تُحد خُطاها يقودها الرئيس ترامب بلا قناع تبعاً "لأكمل ولأدق سيرة كُتبت حتى اليوم" كما جاء على غلاف السيرة الذاتية لنقرأ معاً البشرية عن رحلاته التي انتقاها «حافلة كما أمر بالطموح والغرور والمال والنفوذ» كما قال معتبراً الإنسان فيها «أكثر الحيوانات ميلاً إلى الشر لأن الحياة فيها هي سلسلة من المعارك تنتهي بالنصر أو بالهزيمة كي لا تسمح للناس باستغلالك».

وبعد... لنقل للمنظمات الدولية أنّ في «العظمة الدولية» عبر رؤسائها وأساطينها مواقف وحروب وأسرار وأكوام من بقايا هياكل العظام البشرية التي غارت تتبدل وتتكوم في الأرض منخورة تتغير طحيناً بشرياً نحو التراب بتغيّر الرؤساء لتتجاوز المواقف المعروفة نحو الطموحات فوق ألسنة مسؤولي العالم الحرّ حيث لا أحد أكبر من وليد في وطنه بالمفهوم الذي سيبقى في صلب القصائد العربية.

قدّ يخسر رئيس دولة عظمى سنّاً من فكّه ولكنه لا ولن ولا يمكن أن يشعر أو يقبل بخسارة قوله أو موقعه يربطه بمستقبل وطنه وأوطان غيره حتّى وإن كان حالماً أبداً ببحور الغرور وخطب تأمين المستقبل والتطور الوطني والعالمي. يمكنني الجهر من الشرق حاصداً صراخ الأوطان والشعوب حبراً يصرخ في وجه حروبكم بحوراً رحبة لا تُغريها أرباح "العظمة" إذ لا خجل بادياً في إعلان المواقف والتحولات السياسية المميتة والكارثية لدى واشنطن وموسكو وبكين وإيران وأوروبا لا لأنها دول وعظمى تركب أساطيلها في المحيطات بحثاً عن الإستراتيجيات المُفيدة لقياداتها مهما كانت عصية، بل لأنّ العقل والحكمة أُفرغت من مضامينها الإلهية أمام الأبواب الضخمة والأذهان.

ألج هنا عتبةً من التثاقل والجمود والقتال الشرس تختلط معها «المعارك المُرعبة» بالمفاوضات السريّة وبالتنازلات الحاملة معاني الانتصار قبل أن يتحاور الأحلاف فوق المساحة الصغيرة المتاحة لوقف إطلاق نار يستوجب، قطعاً السكون ووقف اللغو السياسي في الانتصار والانكسار عند الكلام عن استراتيجيات الدول الكبرى.

ليس هناك مع الرئيس الأميركي دونالد ترامب المُقيم في العالم أرضاً ودولاً وفضاء نسيان التجوّل نحو استراتيجيته البارزة بفض النزاعات في العديد من دول العالم متيقّناً ومنتصراً يتباهى برفع علامة النصر في وجه العالم بالخط الأسود العريض. هناك لياقة المصالح الكبرى، لا يعرفها إلاّ الكبار في الدول الصغيرة وهنا ألمّح قاصداً بالحبر الملآن مستقبل أجيالنا لربما نخطف الاهتمام والإنسان والإعلام في البيت الأبيض حيث ملامح التعقل والروية المنتظرة لتحكم أصول التعامل والتعاون نحو قراءة هادئة لمستقبل الأرباح والخسائر بين الدول الكبرى والصغرى وللحفاظ على هيبة وملامح المستقبل الجديد الذي ننتظره ونسعى إليه لخروج تبعثر الشرق اللائق والحكيم من الجراح الأبدية التي ألفت «بلاد العرب أوطاني».

قد يليق بنا أن نخلع اليوم من أذهاننا فكرة أن تهيمن دولة على عظمى أخرى أو تكسر عزتها أو عظمتها مهما احتدت الخصومة والصراعات أو حروب الحلفاء، وهذا هو النهج الأميركي كما يتّضح. وهنا فكرتين: يتيمتين

-1 للتذكير سبق لأمريكا وروسيا أن خرجتا منتصرتين من جروح الحرب الكونية الثانية، لكن اندحار دول المحور وضع الدولتين في صراع أدى إلى تجزئة العالم وجذب الدول الإقليمية والصغيرة والأفراد إلى فلكيهما في محاولة بناء السياسة الدولية وتقاسم النفوذ والمصالح. كان الشرق الأوسط نقطة الجذب الثمينة والدامية وما زال، بثرواته النفطية وتقدم زمن تحقيق رسم هذا الشرق الأوسط الجديد العجيب الغريب، بالرغم من إدمان التبشير المغلوط بكساد النفط والاستغناء عنه بطاقات بديلة كأدوات ضغط على دول منابع النفط والغاز.

-2 هائلة هي حروب أميركا العظمى أمامنا في لبنان وإيران والعالم وتسحبني نحو الحرب الباردة (1945 -1991) التي ولّدت كارثتين: سقوط العراق في رمل الخليج في 2 أغسطس/ آب 1990 وسقوط اتحاد الجمهوريات السوفييتية الاشتراكية في 25 ديسمبر/ كانون الأول 1991 المتراخي فوق يوراسيا بين 1922و1991 لكن هاتين الكارثتين لم تنسفا تبادل احترام الدولتين إذ هبت موسكو مباشرةً بعد سقوط البرجين في نيويورك 2001/9/11 إلى إعلان تحالفها الكامل مع واشنطن لمحاربة الإرهاب.

-3 للتذكير، ومن نقطة التفاهم بين الدول العُظمى كانت وما زالت تدهشني أعاصير الإعلام العربي والعالمي يستغرق فيه الكتّاب والمحللون والبشرية عبر وسائل التواصل الاجتماعي في التشفي والانقسام المريض السياسي والحزبي والمذهبي والطائفي في الشاشات عبر مبالغات وسخافات تُعزّز الانقسامات المحلية.

-4 ختاماً، أمامي كتاب بالفرنسية للشاه محمد رضا بهلوي نُشر في ال 1979 عنوانه: «جواب على التاريخ» وفيه قال قاصداً العظمة الدولية: «رموا بي من النافذة كفأرة ميتة». تُرجم ونشرناه في مجلّة «المستقبل» بباريس لصاحبها نبيل خوري رحمه الله «حامل الغربتين الفلسطينية واللبنانية». ■

كاتب لبناني وأستاذ مشرف في المعهد العالي للدكتوراه.
* عضو الهيئة العليا للإشراف على الإنتخابات في لبنان
drnassim@hotmail.com

وجه جديد للعنصرية

قانون إعدام الأسرى الفلسطينيين !

فلسطين: أكرم عطاالله

كان يمكن أن يكون الأمر أشبه بنكتة سياسية لو لم يكن يتعلق بالقتل والموت فالدولة التي قتلت عشرات الآلاف الفلسطينيين بشكل عشوائي دون تمييز تعززها الأرقام من الأطفال والنساء والشيوخ لا تدع مجالاً للشك بأن اسرائيل تعمدت قتل المدنيين على شكل إبادة جماعية هذه الدولة تذهب لبرلمانها «الكنيست» للحصول على قانون يسمح لها بقتل عدة مئات من الفلسطينيين فقط تحت ظلال المحاكم والقوانين فكيف يبدو الأمر؟

يوم الثلاثين من مارس آذار أقر الكنيست الإسرائيلي بالقراءتين الثانية والثالثة بأغلبية 62 صوتاً مقابل 48 صوتاً في كنيست يتكون من 120 مقعداً قانون إعدام الأسرى الفلسطينيين ووفقاً لآليات التشريع في اسرائيل يكون بذلك اكتمل الشكل القانوني للتشريع بعد أن تمت المصادقة على القراءة الأولى في العاشر من نوفمبر الماضي قبل أن يحال نهاية سبتمبر حينها للقراءات القانونية وقد قدم القانون من قبل النائبة المتطرفة «ليمور سون هارميلخ» التابعة لحزب عنصري في اسرائيل تسلم راية أرئيل كهانا صاحب مشروع طرد الفلسطينيين من البلاد الذي اغتيل منتصف ثمانينات القرن الماضي في الولايات المتحدة لتتحول الكاهانية من تيار هامشي في الحالة السياسية الإسرائيلية إلى حالة مركز مؤثرة هذا الحزب الذي ورث تلك الظاهرة هو حزب «العظمة اليهودية» ويرأسه الفاشي ايتمار بن غفير وزير الأمن الداخلي .

ينبغي الإشارة قبل بدء نقاش هذا القانون وتداعياته والذي يستهدف كما قال بن غفير «النخبة» والمقصود بها نخبة حماس العسكرية التي اجتازت الحدود يوم السابع من أكتوبر وتمكنت اسرائيل من إلقاء القبض على بعضهم في ذلك اليوم وبعضهم تم اعتقاله من غزة أثناء الإجتياحات وحصار المناطق لكن حدث السابع من أكتوبر لم يكن سوى ذريعة يعبر فيها الفكر الكاهاني عن نفسه فقد كان واحداً من شروط بن غفير للإنضمام لحكومة بنيامين نتنياهو بعد انتخابات الأول من نوفمبر 2022 أن يصادق الإئتلاف على قانون إعدام الأسرى الفلسطينيين ومن المهم الإشارة أيضاً إلى أنه في الأول من مارس 2023 قد تمت المصادقة على قراءة أولى لقانون إعدام الإسرى أي بعد شهرين من إقامة الحكومة التي تشكلت في الثامن والعشرين من ديسمبر 2022 كترجمة مباشرة للصفقة التي عقدت بين حزب الليكود العمود الفقري للحكومة والمشكل لها بإعتباره الحزب الأكبر وزعيمه رئيس الوزراء المكلف وبين حزب العظمة اليهودية قبل أن يتوقف ذلك القانون ليجيء السابع من أكتوبر ليتم تقديم قانون آخر على يد المتطرفة هارميلخ التي قتل زوجها المستوطن في الضفة الغربية في الإنتفاضة الثانية .

بمعزل عن أن اسرائيل لم تتوقف عن الإعدام خارج القانون وهي الدولة التي لا ينقصها لا تشريع ولا صلاحية ولا قانون من أجل القتل وفي كل مكان وحتى بين الأسرى فبعد السابع من أكتوبر قتلت في سجونها مائة وثلاثة فلسطيني بينهم الطبيب عدنان البرش لكن القانون بصيغته التي تمت المصادقة عليها يشكل فضيحة كبرى لدولة لم تتوقف عن تجاوز الإعراف الإنسانية حيث يحمل من العنصرية بشكل فاقع ما حاولت كثير من القوانين والسياسات والمشاريع قبل ذلك اخفائه إذ جاء القانون الذي حمل عنوان عقوبة الإعدام في يهودا والسامرة وهي التسمية الإسرائيلية التي تطلقها على الضفة الغربية يقول نصاً " يعاقب بالإعدام فقط أي مقيم في المنطقة يتسبب عمداً في وفاة أي شخص بقصد الإضرار بمواطن أو مقيم اسرائيلي وبنية إنهاء وجود دولة اسرائيل يعاقب بالإعدام أو بالسجن المؤبد، وإذ يذهب القانون لينص على أن عقوبة الإعدام هي العقوبة الإفتراضية إذا صنفت المحاكم الإسرائيلية جريمة القتل على أنها عمل إرهابي وتلك تهمة تطلقها اسرائيل على كل من يقاومها وقد وصفت الذين كانوا يلقون الحجارة في الإنتفاضة الأولى بالإرهابيين فما بالنا باعمال تتعلق بالسلاح وهنا لم يترك القانون متسعاً للشك .

صيغة القانون العنصرية وإذ لم تنص صراحة على أن العقاب بالموت والإعدام يخص الفلسطينيين وحدهم لكنها حملت ذلك في مضمونها بشكل مباشر لأن النص الذي يتحدث عن " قتل أو الإضرار بأي شخص بنية إنهاء دولة اسرائيل " بالتأكيد حين يرتكب أي اسرائيلي فعل القتل بحق الفلسطيني كما يفعل المستوطنون في الضفة الغربية على سبيل المثال لا يمكن الإشارة للفعل بأن نيته إنهاء دولة اسرائيل لذا تم تصنيف القانون كواحد من أكثر القوانين العنصرية في اسرائيل التي لم تخف كثيراً من قوانينها تلك النزعة التي كانت تعج بالتمييز بين العرب واليهود حتى في القوانين الداخلية التي لم يكن لها طابع أمني أو عسكري مثل قوانين الولاء والجنسية .

ردود الفعل الدولية والعربية التي صدمها القانون بإعتباره منتج الفكرة العنصرية ، فقد جاء ايتمار بن غفير بعد اقرار القانون ليحتفل في الكنيست بزجاجة شمبانيا فعدا عن ردور الفعل الشعبية التي تظاهرت في الكثير من عواصم العالم كان الموقف العربي الرسمي يلتحق بالفعل الشعبي حيث أدانت الحكومات العربية والجامعة العربية والبرلمان العربي ومجلس وزراء الداخلية العرب والأزهر ومنظمة المؤتمر الإسلامي وأحزاب وقوى عربية هذا القانون العنصري والذي يعكس ثقافة الدولة الإستعلائية.

بعض أبرز دول أوروبا لم تكن بمنأى عن الحدث فقد دعت ثلاثة عواصم كبرى هي لندن وباريس وروما اسرائيل إلى التخلي عن مشروعها بقانون إعدام الأسرى الفلسطينيين معربة عن قلقها من تداعياته جاء ذلك في بيان مشترك عن العواصم الثلاث ليعرب عن قلقه البالغ إزاء مواقف لجنة الأمن القومي بالكنيست معتبراً أن القانون " لاإنسانياً ولا مهنياً وكذلك الإتحاد الأوروبي حيث نددت المفوضية الأوروبية بشدة بقانون الإعدام الذي كما قالت تمت صياغته ليطبق حصراً على الفلسطينيين وقد أدانت المانيا القانون في بيان منفرد جاء فيه أن برلين ترفض عقوبة الإعدام وتعتقد أن القانون الذي تم سيطبق كما قالت حصراً على الفلسطينيين أما رئيس وزراء أسبانيا الذي كان أكثر وضوحاً فقد قال في منشور على موقع X «أن القانون خطوة إضافية نحو الفصل العنصري» .

في سجون الإحتلال يقبع حوالي 11 ألف أسير فلسطيني موزعون على أكثر من عشرين سجناً «عشرين من السجون القديمة» زاد عددها بعد إنشاء سجون جديدة أبرزها سجن «سديه تيمان» الذي اعتبر أخطر السجون وأكثرها قسوة وقمعاً وشهد العدد الأكبر من قتل الأسرى وقد كان مثار جدل من خلال ما تم تسريبه من صور التعذيب والإغتصاب الذي جرى للأسرى حيث أرادت المدعية القانونية فتح تحقيق في الأمر قبل أن تفقد منصبها بسبب ذلك وتتعرض للتحقيق بشبهة التسريب وهذا السجن كان عبارة عن ثكنة عسكرية افتتحته اسرائيل لتضع فيه رجال النخبة في حركة حماس وهم الذين تم اقرار قانون اعدام الأسرى خصيصاً لهم ممن تعتبرهم شاركوا في أحداث السابع من أكتوبر والمرشحون للإعدام وفقاً للقانون يبلغ عددهم حمالي أربعمائة أسير أغلبهم من الذراع العسكري كتائب عز الدين القسام .

أهالي أولئك الأسرى الذين أسرتهم اسرائيل يوم السابع من أكتوبر في ذروة الحدث لا يعرفون إن كان أبناءهم أحياء أم لا فلم تقدم اسرائيل أية معلومة وفقط يتم معرفة أسرى من خلال إطلاق سراح بعضهم فيدلون بمعلومات لكن هذا في السجون الأخرى التي تضم معتقلين إداريين أو من تعتقلهم بلا سبب على سبيل المعلومات والتحقيق لكن لم يخرج أحد من سجن سديه تيمان ولم تسمح بزيارة الصليب الأحمر ولا المحامين ظل السجن قلعة بعيدة ، فقط بعض التقارير التلفزيونية لقناة اسرائيلية أظهرت وحشية هذا السجن وكيف تتم معاملة الأسرى .

قبل السابع من أكتوبر كان عدد الأسرى الفلسطينيين حوالي 5250 أسير موزعين على السجون وقد بدأ بن غفير منذ تسلمه وزارة الأمن الداخلي التي تخضع السجون لها التضييق عليهم وسحب كثير من الإمتيازات وما أن جاءت الحرب حتى وصل عدد الأسرى إلى 11000 أسير يعيشون ظروفاً مأساوية حيت التعذيب المستمر والحرمان من النوم ومن الطعام والنقص الشحيح في الوجبات والنزول الواضح في الوزن لكن الكارثة الكبرى تتمثل في انتشار الأمراض وعدم تقديم العلاج بل حرمانه فقد نقل عدد من الأسرى المفرج عنهم انتشار أمراض كثيرة مثل الأمراض الجلدية وأصعبها مرض الجرب الذي أصاب الأسرى بفعل الحرمان من النظافة ومن العلاج وانتشار الحشرات والقوارض وتعمد إدارات السجون إهمال الأسرى وعدم فعل أي شيء لمحاصرة المرض أو تقديم الخدمة العلاجية بل تتعمد الإدارات ترك المرض كواحد من أشكال التعذيب الطبيعي ضد الأسرى ضمن الوسائل التي لا تتوقف عن ممارستها بما فيها القتل العمد داخل السجون لذا من السخرية أن تطلب قانوناً لقتلهم.

المشكلة أن اسرائيل دولة لا تعرف إلا الضغط ولا تستجيب إلا بالقوة ودائماً ما كانت ترضخ لمطالب الثورة الفلسطينية عندما تكون قد نجحت في أسر جنود اسرائيليين هؤلاء يتحولون إلى أوراق تفاوضية ترغم اسرائيل على إجراء عمليات تبادل وهذا كان يعزز الأمل دوماً لدى الأسرى الفلسطينيين لكن هذه المرة تمت عمليات التبادل بين حركة حماس واسرائيل حتى آخر جثة اسرائيلي أي لم يبق لدى أي طرف في حالة عداء مع اسرائيل ما يمكنه من المقايضة لإطلاق سراح من تفكر اسرائيل بإعدامهم .

اليمين دوماً يتصف بالغباء السياسي وجاء أكثره تطرفاً ليقدم مقترح إعدام الأسرى لدولة تعدم بالطائرة وبالصاروخ وبالدبابة وبكاتم الصوت وبلا قوانين وبلا تشريعات لكن التشريع يظهر عنصرية الدولة هذا ما تنبه له بعض اليسار الذكي ليعلن معارضته ليس على سبيل فهم انساني لطبيعة الصراع بل لمحاولة درء شبهة العنصرية الفاقعة فاليسار أيضاً لم يتوقف عن القتل لكن كثيراً من المراقبين يعتقدون أن القانون يصعب تطبيقه لان النظام في اسرائيل يحيل كل القوانين للمحكمة العليا لتقرر مدى انطباقه أو معارضته لقوانين الأساس " البديل عن الدستور فإسرائيل دولة بلا دستور " وقد تلمس المحكمة العليا التي لا زالت علمانية ومؤسسة مستقلة بل قامت حكومة نتنياهو بعيد تشكيلها بما أسمته بالثورة القضائية بهدف تقليص صلاحيات المحكمة والقضاء في اسرائيل لأن للمحكمة صلاحيات إلغاء قوانين يسنها الكنيست وفي هذا القانون ما يتعارض مع القوانين الأساس التي نصت في تعريفها لدولة اسرائيل على أنها «دولة يهودية وديمقراطية» وقد نصت على المساواة لمواطنيها طبعاً من الصعب التوفيق بين دولة دينية أقيمت لابناء ديانة واحدة وأن تكون ديمقراطية لكن قانون إعدام الأسرى بصيغته التي تم تشريعها يتنافى مع مصطلح الديمقراطية لذا يراهن المراقبون على المحكمة للإيقافه.

بكل الظروف تم تنفيذه أم لا والفلسطينيون الذين سلكوا هذا الطريق لا يأبهون بشكل نهايتهم المهم أن يتجسد فيها بطولة لكن المهم أن هذا القانون يعيد إلقاء الضوء على هذا الشكل من التمييز العنصري تمارسه دولة تحاول ان تقول أنها تنتمي للديمقراطيات الغربية ...!

درس المحنة العربية في الحرب الاميركية الإسرائيلية على إيران

لندن: أمين الغفاري*

لم يحدث ان انشغل العالم برئيس امريكي، قدر ما انشغل بالرئيس ترامب، سواء في عهد ولايته الاولى، وطريقه معارضته للانتخابات بالبريد التي جرت، وانتهت بولاية سلفه،ثم الاتهامات التي وجهت اليه، وعلى صعد مختلفه، ومتعددة، وواجهها بثبات وضراوة واضحه، ثم احداث مهاجمة الكونجرس الامريكي بتظاهرات خرجت عن الوقار الذي كان على الدوام، يلف هذا المجلس. والاحترام المطلق الذي يوليه الامريكيون لمثل هذه المؤسسات النيابيه.نجح ترامب، واعتلي رأس السلطه باكتساح ملحوظ، سواء على المستوى الجماهيري في حجم الاصوات،او على المستوى الحزبي. وكان ذلك مثارا للتحليلات لفترة من الزمن بعد ان انتهت الانتخابات، وتأكدت عملية نجاحه.وخضع الأمر للكثير من الاجتهادات وربما كان أكثر هذه التحليلات ميلا، أو انعطافا يرجع الأمر الى المستوى المتدني للحزب الديموقراطي، وضعف قياداته. لكن الأمر الأكثر اثاره.

كان في تلك الظاهره التي برزت في سياسات الرئيس ترامب، وانعكست في تلك الموجه من التهديدات التي صاحبت خطابه السياسي،حتى وقبل ان يستلم السلطه، وكان يوجهها الى حركة حماس في صراعها العنيف مع الكيان الصهيوني، بعد احداث السابع من اكتوبرعام 2023، ومحذرا انه لابد من الوصول الى اتفاق، وحل كل المشاكل قبل استلامه لمقاليد الحكم، والا فان جهنم ستفتح ابوابها، الى آخر تلك التصريحات النازيه. التي تناولتها الكثير من صحف العالم والتي بدى من خلالها، وكأن السياسة الامريكيه قد خلعت وقارها، وتقاليدها في الممارسة الدبلوماسيه والسياسيه، التي كانت عنوانا للخطاب السياسي والاعلامي السائد في العالم، ولغة الحوار التقليديه، حتى وان حدثت بعض التجاوزات هنا اوهناك مثل حادثة شهيرة اهتزت لها اروقة الامم المتحده في 12 اكتوبر عام 1960حين ضرب الزعيم السوفييتي (نيكيتا خروتشوف) بحذائه على منصة الخطابه، حين كان يلقي خطابه، منددا ومحذرا ايضا).

لكن الرئيس ترامب لم يفعل مثل ذلك، لكنه انتهج اسلوبا آخر في الخطابه، يطرح فيه مطالبات، شديدة التجاوز، وان تعلن من خلال اجهزة اعلام، وكأنه يحكم العالم، ويقرر مايشاء فيه، وعلى الجميع ان يسمع ويصمت ثم ينفذ.فقد اعلن عن مطالباته بجزيرة جرينلاند ثم اعلن عن رغبته في تهجير اهل غزة، وبناء منتجعات عالميه على شواطئها ثم اعقب ذلك بطلب المرور مجانا في قناة السويس.

والحمد لله ان وقف الجميع وقفة جاده، ضد هذا العبث والاستخفاف بارادة الشعوب، وان كنا الأن اليوم نعود فنتساءل وبالحاح قلق اونحن نتابع ما يجري امام اعيننا، هل تبخرت حقا تلك التصريحات النازيه التي سبق وان انطلقت وعادت بعدها السياسة الأمريكيه الى حاله من الأنضباط ،ام ان تلك التصريحات قد تم تنحيتها مؤقتا حتى تعود مرة اخرى في ظروف اكثر ملائمه، تضعف فيها ارادات، الشعوب أزاء المزيد من الضغوط ثم تجري ترجمة تلك التهديدات على أرض الواقع، وتتحول هذه

المرشد الايراني مجتبى خامنئي

ترامب

المطالبات الى قرارات نافذه ، والا تعود (جهنم الى فتح ابوابها) من جديد كما نرى الأن، والضحايا يتساقطون وعلى ذلك ينبغي علينا ان نستعد الى مواجهة جولة جديده،من استخفافات السيد ترامب، بكل ما جرى التعارف عليه في المجتمع الدولي سابقا، وقبل اعتلاء الرئيس ترامب سدة الحكم الميمون، ان عدنا الى الوراء عقودا من الزمن كانت هناك بالفعل انواعا من التسلط والهيمنه من القوى الكبري، وعملت على تقسيم المقسم وتجزيئ المجزء، في مناطق كثيرة من العالم ،ولكن اعقب كل ذلك قيام الثورات الشعبيه سواء ضد الهيمنه الخارجيه أو ضد التسلط الداخلي، وقويت حركة التحرر في العالم، وكانت في ظل القطبيه الثنائيه، وشهد العالم اكبر مظاهره ضد الاستعمار، حين انعقد مؤتمر (باندونج) عام 1955.

ولمعت قيادات حركة التحررالعالميه، جمال عبدالناصر ونهرو وتيتو وسوكارنو، وكانت صوتا للحرية، وتتذكر جلسة الأمم المتحده في نيويورك عام 1960 التي حضرها الكثير من قادة دول (عدم الانحياز).

لكن الظروف تغيرت واصبحت الولايات المتحده تنفرد، وتمثل القطب الحاكم المنفرد، بعد سقوط الاتحاد السوفييتي، ورحيل تلك القيادات ذات التأثير. وبعدها جرت الكثير من المياه تحت الجسور، منذ تلك الحقبه، وجري في اعقابها ماجري، في العراق وفي افغانستان،ثم الأن في العهد الترامبى في فلسطين وفي ايران،وما تشهده دول الخليج،وهي دول مسالمه بطبيعتها، فلم ترفع سلاحا،ولم تقم باعتداء. ونتذكر حين صاح الرئيس (ترامب) شخصيا في خطاب علني في احدى مؤتمراته في ولايته الأولى الى احد الملوك العرب وخاطبه قائلا (اننا نقوم بحمايتكم، ولذلك عليكم ان تدفعوا) بل ان خطابه تطور بعد ذلك وطالب (حلف الناتو) وهو الأقرب ان يساهم بقدر اكبر في تكاليف هذا الحلف، والا تتحمل الولايات المتحده وحدها معظم هذه (التكاليف). سواء كانت مادية او في عمليات عسكريه تباشرها ا امريكا وحدها. ان شعار (ترانب) الأن (امريكا اولا) ولا شيئ مجاني.

لقد طلب من دول الناتو المساهمة في ميزانيه تاريخيه للأنفاق الدفاعي،في الوقت الذي بلغ فيه سعر البرميل 110دولار، وقد استفادت روسيا فقد رفع عنها جانباً من العقوبات، حتى تساهم في فك ازمة الطاقه، وبلغ سعر البرميل لد يها 77 دولار للبرميل، وفي حين ان حرب امريكا على ايران اصبحت تكلفها مليار ونصف يوميا.

ثم طالب ايضا دول اوروبا بالتدخل في الحرب مع ايران ورفضت، ثم عاد وطالب بعض الدول الاوروبيه بالأشتراك في فتح مضيق هرمز بشكل جماعي،ولكنها ايضا رفضت.ترتيبا على ذلك يمكن القول ان (ترامب) .. مرحلة من التاريخ تبعث على القلق والانزعاج، وينبغي التحوط من المنطق الذي يحكمها. فالقضايا تختلط في رأسه، وتاريخه يحفل بانجازات خاصة، في ميدان محدد، ميدان الصفقات التي حققت عوائد مادية كاسحه، وليس في اطار سياسات عززت علاقات بين دول، أووضعت اطر لقضايا الحريه والسلام ،أو ناصرت حقوق الانسان، ودعاوي التنميه والتعمير أو مثلت شعلة نورفي دياجير عالم انهكه ظلم الانسان للأنسان. واخيرا وليس آخرا تهديده بضرب ايران، وتدمير حضارتها والعودة بها الى العصر الحجري فقد كتب على منصة (تروث سوشيال) أن «حضارة بأكملها ستنتهي الليلة، ولن تتم إعادتها أبدا»، وهو تهديد كاشف لمدارك رجل الصفقات، ومدى استيعابه لنشأة الحضارات،

نتنياهو

وتطورها ،ثم هرمها وذبولها ومن ثم اندثارها. فالحضارات لا تقصف فتدمر، ولو كان الامر كذلك لأندثرت الحضاره الألمانيه ،فقد ضربت ألمانيا، وقسمت ثم عادت وتوحدت ونهضت من جديد، في سنوات قليله، او انتهت روسيا، بعد ان تفكك الاتحاد السوفييتي، وقسم الى دول، ولكننا نري الأن روسيا، وهي تقاتل في اوكرانيا ضد معسكر حلف الناتو، وصامده في المواجهه عبرعدة سنوات وتحقق انتصارات تلو انتصارات، وترفض المساومه على ماحققته من انجازات،في اطار حرب تشارك في احداثها الولايات المتحده واوروبا. فالحضارات تمتص الضربات، ولا تنتهي بضربه، كما يتخيل ترامب.

ماذا يريد ترامب ان يحقق أو ينجز؟

ترامب يريد ان يسيطر على منطقة الشرق الاوسط، للأسباب التاليه:

اولا تعد المنطقه مصدرا مهما للطاقة وايضا تتمتع بسمات استراتيجية خاصه في موقعها الجغرافي ،وممراتها البحريه من مضايق وبحار وانهار،ثم يريد ان يتصدي للمشروعات الصينيه. لقد ادرك (ترامب) مدى التطلعات الصينيه في المنطقه،ولذلك فان اهتماماته الأن تنصب على ضرورة تحجيم النفوذ الاقتصادي والتكنولوجي للصين وخصوصا استثمارات مشروع (الحزام و الطريق) الذي من شأنه تعزيز نفوذ الصين ومشروعاتها التي تعمل على تحقيقها. ومنها في اطار البنية التحتيه التكنولوجيه ،انشاء مشروعات الطاقة المتجددة (مثل مجمعات الطاقة الشمسية في الإمارات)، والبنى التحتية للموانئ والمدن الذكية. انشاء الصناعات الاستراتيجية: مواجهة التغلغل الصيني في سلاسل إنتاج الطاقة والتكنولوجيا، وربما مشروعات بنية تحتية كبرى في مناطق مثل سيناء.

كذلك استثمارات (الحزام والطريق) تقليص

الزعيم الصيني

اعتماد دول المنطقة على بكين في التنمية والبنية الأساسية.

ثانيا: منع ايران من تشكيل قوة عسكريه نوويه يفتح الطريق واسعا للهيمنه على دول الخليج، وفرض التطبيع مع اسرائيل ،بكونها وجه الحضارة الغربيه، وقادره على عمليات الاستثماروالاعمار وباعتبارها الوجه الديموقراطي العلماني في مواجهة التيارات المتطرفه، أو المعادية للتعايش مع الكيان الصهيوني

ثالثا: من خلال تصفية التيارات المعادية، يمكن انتهاج سياسات التمكين لأسرائيل للتوسع سواء بتهجير الفلسطينيين للخارج او للتوطين في بعض المناطق العربيه، وسبق للرئيس الامريكي وقت خوضه للأنتخابات ان ذكر أن (اسرائيل دوله صغيره ولابد من العمل على اتساعها).

رابعا: يمكن بعملية خاطفة اسوة بما تم في فنزويلا ان يصفي النظام القائم، ومع تصفية الرؤوس الكبيرة للقيادات الحاكمه،سواء في صفوفها الأولى،أو الثانيه ان تحدث عملية ارباك للنظام ومع تعزيز عمليات الأضرابات أو المشاغبات التي كانت قائمه في ذلك الحين، وتملأ الشوارع، ومع تشجيع الفصائل الكرديه التي تعاني من الكبت والاضطهاد ان تندفع الى الثوره فتتفاقم الأوضاع التي من شأنها الأطاحة بالنظام القائم ونذكر ان الرئيس ترامب ،طرح في حالة سقوط النظام ان يشارك شخصيا في اختيار البديل. وفي غضون ذلك التفكير نسي تماما،أن العدوان الخارجي،يدفع الشعب بكل فصائله الى الوحده الوطنيه،ويزيد من قوة النظام ،وايضا من احكام سيطرته.

درس المحنة العربية

في الحرب القائمه في الشرق الاوسط اندلعت الحرب بين الكيان الصهيوني و حركة حماس في7 اكتوبر من عام 2023 ومازالت فصولها تستمر حتى الأن مع تغير القيادة الاميركيه، واستلام الرئيس (ترامب) للسلطه، واستلامه ايضا للملف الخاص بها والتهديدات المتلاحقه التي صدرت عنه، وبتلاحق التهديدات والمفاوضات وتشكيل مجلس السلام مازالت المناوشات والاعتداءات الاسرائيليه تتواصل في عمليات القتل والاغتيالات ومازال الصحفيون يقعون في مرمى اسلحتها، وان كان لم يصل الى اسماعنا صوت مجلس السلام، واي من خططه وقرارته او حتى توصياته. ولكن الذي عاد و ارتفع هو صوت ايران ومعارك مع اسرائيل ،ثم مع اسرائيل وامريكا، ثم قامت ايران بمهاجمة الاراضي الخليجيه، بدعوى انها تضرب القواعد الأمريكيه،في حين ان القواعد الامريكيه ساكنه، ولا تقوم بالرد على العدوان ،وحماية اهل الخليج الذين لم يطلقوا طلقه واحده ضد ايران. ان درس المحنه يقول لنا بوضوح ،ان (المتغطي بأمريكا عريان) عرفنا ذلك من تجارب مره، ومع ذلك مازال الاستناد الى امريكا موقفا أو حماية متواصلا نشتري السلاح بأثمان باهظه ، ويتكدس لدينا بدعوى ان القوات الامريكيه حارسه، في الوقت الذي كانت فيه دائما مستنزفه، وانحيازها الى اسرائيل واضح وقائم ومستمر. امريكا لها مشروعها في الهيمنه ،واسرائيل لها حلمها الاستيطاني في التوسع، وايران لها مشروعها الامبراطوري الفارسي

فاين المشروع العربي؟ ذلك هو السؤال.؟ اين القوة العربيه الموحده. فلن يحمي العرب الا الدم العربي .

وقد تكون تلك المحنه تحت الراية الترامبيه،درس المحنه وان نبحث عن خلاصنا في ربوعنا . ■

*كاتب وصحافي مصري

مضيق هرمز الذي تمر عبره 20 في المائة من إمدادت النفط والغاز

بعدما تبخرت مليارات الدولارات في ثغرات الرهن المزدوج

اقتصاد ما بعد الصدمة: هل يستعيد العالم توازنه مع صمت المدافع؟

كتب المحرر الإقتصادي

تاريخياً، كانت الحروب تبدأ بطلقة وتنتهي بتوقيع، لكن في الاقتصاد المعاصر، لا تبدو النهايات بهذه البساطة. بينما كان يترقب العالم خطاب «ساعة الحسم» للرئيس الأميركي دونالد ترامب، وتتزايد الآمال في أن تنتهي العمليات العسكرية ضد إيران في غضون أسابيع قليلة، يبدو المشهد الاقتصادي العالمي وكأنه يستعد لمخاض عسير. فالسؤال لم يعد «متى تنتهي الحرب؟»، بل «ماذا سيبقى من النظام الاقتصادي الذي عرفناه قبلها؟». إن الأسواق التي تنتعش حكماً لمجرد سماع بوادر التهدئة، تدرك في قرارة نفسها أن «فاتورة السلام» قد لا تقل تعقيداً عن تكلفة الحرب، وأن العودة إلى مستويات ما قبل فبراير (شباط) 2026 باتت طموحاً بعيد المنال في ظل جراح غائرة أصابت البنية التحتية والنمو في المنطقة.

يصف خبراء صندوق النقد الدولي تداعيات الحرب الإيرانية بأنها «ضريبة مفاجئة وكبيرة على الدخل العالمي». ورغم أن الحرب قد تشكل الاقتصاد بطرق مختلفة، إلا أن جميع المسارات تؤدي إلى حقيقة واحدة: أسعار أعلى ونمو أبطأ. في أوروبا، قفز التضخم في منطقة اليورو إلى 2.5 في المائة في مارس (آذار)، وهو أسرع معدل منذ عام، مما وضع البنك المركزي الأوروبي ورئيسته كريستين لاغارد في موقف حرج قد يضطرهم لرفع أسعار الفائدة إذا استمر التضخم فوق مستهدفه البالغ 2 في المائة.

أما في الولايات المتحدة، فقد تجاوز متوسط سعر الغالون من البنزين حاجز 4 دولارات لأول مرة منذ عام 2022، مسجلاً قفزة بنسبة 35 في المائة منذ نهاية فبراير (شباط). هذا الارتفاع ليس مجرد رقم، بل هو "ضغط خانق" يجبر الأسر ذات الدخل المنخفض والمتوسط على تغيير عاداتها الإنفاقية، مما يجعل الاقتصاد الأميركي أكثر اختلالاً واعتماداً على إنفاق الأثرياء فقط.

خلف شاشات التداول الملونة بالأخضر والأحمر، تكمن مأساة حقيقية على الأرض رصدها برنامج الأمم المتحدة الإنمائي في تقاريره الصادمة. تشير التقديرات الأممية إلى أن الصراع المستمر قد أدى إلى نزيف اقتصادي حاد، حيث تُقدر الخسائر الإجمالية المباشرة وغير المباشرة في المنطقة بنحو 192 مليار دولار. هذا الرقم المرعب لا يمثل فقط قيمة الدمار الفيزيائي، بل يعكس الفرص الضائعة في النمو والاستثمار التي تبخرت منذ اندلاع الصراع.

ويحذر البرنامج من أن الحرب قد تدفع 4 ملايين شخص إضافي في العالم العربي نحو خط الفقر، وأن الخسائر تؤدي إلى تراجع معدلات التنمية البشرية بما يعادل عقدين من الزمن في بعض المناطق. هذه الفجوة المالية الهائلة تعني أن التعافي لن يكون "ارتداداً سريعاً"، بل رحلة طويلة وشاقة لترميم اقتصادات استنزفتها تكاليف الحرب المباشرة وهروب رؤوس الأموال.

تصدع الوضع الطبيعي

يخطئ من يعتقد أن توقف هدير الطائرات فوق مضيق هرمز سيعيد أسعار الطاقة إلى خانة العشرينات أو الثلاثينات من الدولارات. إن التحذيرات الصارمة التي أطلقتها وكالة الطاقة الدولية والاتحاد الأوروبي والمؤسسات المالية المختصة تعكس واقعاً هيكلياً جديداً: فالحرب الإيرانية لم تكن مجرد اضطراب عابر في الإمدادات، بل كانت «زلزالاً» أعاد رسم خريطة تدفقات الطاقة العالمية.

يعتبر المدير التنفيذي لوكالة الطاقة الدولية فاتح بيرول أن أزمة الطاقة الناجمة عن الحرب الإيرانية أسوأ من التأثير المُجتمع لأزمات النفط في سبعينات القرن الماضي، محذراً من أن حلها سيستغرق وقتاً طويلاً حتى لو انتهت الحرب قريباً، قائلاً: «سيستغرق الأمر بعض الوقت للعودة إلى الوضع الطبيعي الذي كنا عليه قبل اندلاع الحرب».

لقد تسببت الحرب في قفزات سعرية بلغت 70 في المائة للغاز و60 في المائة للنفط في القارة العجوز، وهي أرقام لا تُمحى بمجرد فتح الممرات المائية. إن شركات التأمين البحري، التي رفعت علاوات المخاطر إلى مستويات قياسية، لن تخفض رسومها بين عشية وضحاها. كما أن سلاسل التوريد التي اعتمدت على مسارات بديلة أكثر تكلفة، ستستغرق أشهراً، إن لم يكن سنوات، لإعادة ضبط عقودها الآجلة.

نحن نعيش الآن في عصر «التضخم الهيكلي» المستدام، حيث أصبحت تكلفة تأمين الطاقة جزءاً لا يتجزأ من السعر النهائي للمنتج، سواء استمرت الحرب أو توقفت.

ترجح «كابيتال إيكونوميكس» أن تبقى أسعار النفط مرتفعة حتى لو انتهت الحرب الإيرانية قريباً، وتشير إلى أن انسحاب الولايات المتحدة خلال أسبوعين إلى ثلاثة أسابيع لا يزال يتماشى مع توقعاتها الأساسية لسعر خام برنت عند حوالي 80 دولاراً بحلول نهاية عام 2026، مما يُبقي على علاوة مخاطر الطاقة قائمة. وترى «كابيتال إيكونوميكس» أن السيناريو الأساسي قد يشمل أضراراً متوسطة في البنية التحتية للطاقة.

لكن المعضلة لا تتوقف عند حدود المنطقة؛ فالحصار الفعلي الذي فرضه النزاع على مضيق هرمز طال عصب الغذاء العالمي. يمر نحو ثلث الأسمدة في العالم عبر هذا الممر الحيوي، ومع بداية موسم الزراعة في نصف الكرة الشمالي، فإن نقص الأسمدة اليوم يعني حصاداً فقيراً وأسعار غذاء فلكية في الصيف والخريف القادمين. ولا يقتصر الأمر على الغذاء، بل امتد النقص ليشمل مواد صناعية حيوية مثل الهيليوم، والكبريت، والنافتة المستخدمة في صناعة البلاستيك، مما يهدد بتباطؤ الإنتاج الصناعي العالمي برمته.

من «المضائق» إلى «المناطق الآمنة»

لقد كشفت أسابيع الحرب عن هشاشة الاعتماد على ممرات مائية بعينها. وبينما كان العالم يحبس أنفاسه مع كل تهديد بإغلاق مضيق هرمز، برزت أهمية المشاريع الاستراتيجية التي راهنت على «أمن البدائل». لقد نجحت السعودية، عبر تطوير خط أنابيب «شرق - غرب» للوصول إلى سعة 7 ملايين برميل يومياً، في خلق وسادة أمان منعت أسعار النفط من الوصول إلى مستويات كارثية.

هذا التحول الجيوسياسي يعني أن الاستثمارات القادمة في قطاع الطاقة لن تتوجه فقط نحو زيادة الإنتاج، بل نحو «أمن المسار». إن تصريح ترمب للحلفاء بضرورة «تأمين نفطهم بأنفسهم» ينهي حقبة الحماية الأميركية المجانية للممرات المائية، ويؤسس لواقع جديد تضطر فيه الدول المستهلكة (خاصة في أوروبا وآسيا) لتحمل تكاليف عسكرية وأمنية إضافية، ستنعكس حتماً على الموازنات القومية وأسعار المستهلك النهائي.

في ظاهرة اقتصادية تستحق التأمل، شهد شهر أبريل (نيسان) صعوداً متزامناً للذهب والأسهم، وهو أمر يخالف المنطق التقليدي للأسواق. بيد أن هذا الصعود لم يكن مفروشاً بالورود؛ فقد سبقه «مارس القاسي» الذي سجل فيه المعدن الأصفر أكبر انخفاض شهري له منذ أكتوبر (تشرين الأول) 2008، فاقداً أكثر من 11 في المائة من قيمته. حينها، لم يشفع للذهب بريقه كملاذ آمن، إذ سحب الدولار البساط من تحت الجميع مع اندلاع الحرب الإيرانية في 28 فبراير (شباط)، وبرزت العملة الخضراء كـ "الملاذ الوحيد" وسط توقعات بسياسات نقدية متشددة ورفع وشيك لأسعار الفائدة.

ومع تبدل النبرة السياسية في واشنطن وبوادر التهدئة، استعاد الذهب أنفاسه ليحلق في مستويات تاريخية، مدفوعاً بضعف الدولار وترقب السياسات النقدية للاحتياطي الفيدرالي الأميركي.

ولم يتوقف الأمر عند الذهب؛ إذ دخلت سوق السندات العالمية نفقاً من التقلبات الحادة؛ فبينما ارتفعت العوائد على السندات قصيرة الأجل لتعكس مخاوف التضخم المستدام، شهدت السندات طويلة الأجل إقبالاً كـ «ملاذ آمن» من مخاطر توسع الصراع الجيوسياسي.

قفزات سعرية بلغت 70 في المائة للغاز و60 في المائة للنفط في أوروبا

هذا الارتباك في منحنى العائد يشير إلى أن المستثمرين لا يهربون من جبهات القتال فحسب، بل يفرون من «تآكل القوة الشرائية» الذي بات الشبح الحقيقي الذي يطارد المحافظ الاستثمارية. ومع استبعاد خفض أسعار الفائدة في ظل هذه الضغوط، يجد المستثمر نفسه أمام خيار أحلاهما مُر: هل يثق في انتعاش أسواق المال الآسيوية التي قفزت بآمال السلام، أم يحتمي بالسندات السيادية والذهب كدرع واقٍ من تقلبات السياسة «المزاجية» التي قد تعيد إشعال الصراعات والتضخم في أي لحظة؟

إعادة الحسابات

بينما نستقبل شهر مايو، يدرك الخبراء أن صمت المدافع ليس إلا بداية لمعركة اقتصادية من نوع آخر. إن العالم الذي يطمح لاستعادة توازنه يواجه اليوم فاتورة باهظة من التضخم، والديون السيادية، وتغير مراكز القوة في الطاقة. السلام، وإن كان مرغوباً بشدة، لن يمحو أثر الـ 14 مليار يورو التي فقدها الاتحاد الأوروبي، ولن يعيد البنزين في أميركا إلى ما دون 4 دولارات بسهولة.

نحن ندخل حقبة الاقتصاد الحذر، حيث ستكون الكلمة العليا للدول التي تمتلك سيادة الطاقة وتنوع المسارات. فهل ينجح العالم في ترميم ما أفسدته الحرب، أم أننا أمام ولادة نظام اقتصادي عالمي جديد، يكون فيه الأمن هو العملة الأكثر ندرة وغلاءً؟.

جميع المسارات تؤدي إلى حقيقة واحدة: أسعار أعلى ونمو أبطأ

مستقبلات

البروفسور مازن الرمضاني*

رؤية شاملة لظاهرة الصراع الدولي

تفيد تجربة الحروب الدولية عبر الزمان أنها لم تندلع من تلقاء ذاتها، وإنما جراء تأثير مجموعة مدخلات سابقة عليها تتجمع تحت عنوان كبير هو الصراع ولا تختلف الحرب الامريكية ـ الإيرانية عن سواها السابقة هنا وهناك من حيث المدخل الأساس وراء اندلاعها. في هذا المقال سنقدم رؤية شاملة ولكن مختصرة لجل الابعاد الاساسية التي تنطوي عليها تجربة ظاهرة الصراع الدولي. فالإدراك الموضوعي لها, وبضمنه كيفية ادارتها خصوصا, يفيد الصراع بظاهرة ممتدة زمانا وشاملة لصُعد الحياة الداخلية والخارجية (الدولية) كافة. وقد تعددت الرؤى، التي تناولت مفهومه. ومع ذلك يتجه الرأي إلى إدراكه بدالة السلوك الناجم عن التناقض الصريح والواضح بين مصالح طرفين في الاقل. والشيء ذاته ينسحب على الرؤى، التي تحاول تعريف المقصود بالصراع الدولي. واتساقا مع هذا الاتجاه، نرى أن الصراع الدولي يُعبر عن تفاعل منسق بين دولتين، كقاعدة، تتميز أنماط سلوكهما بنزوعهما إلى تحقيق ثمة مصالح مادية و/أو قيمية متناقضة عبر أدوات تعكس نوعية قدرة كل منهما على الفعل الدولي الهادف والمؤثر وبمخرجات قد تفضي إلى ربح أحداهما وخسارة الآخر أو ربحهما وخسارتهما معا، ولكن بنسب متباينة. إن هذه المخرجات بنوعيها هي التي تجعل من الصراع عموما والدولي خصوصا حالة تطبيقية لنظرية اللعبة بشقيها الصفري وغير الصفري.

وكما تتعدد الرؤى في شأن مفهوم الصراع، وبضمنه الصراع الدولي، كذلك تتعد الرؤى، والعديد منها عربية، التي تخلط، خطأ، بين مفهوم الصراع الدولي ومضامين مفاهيم معطيات دولية أخرى لا تتماهى مع مضمونه، ومن نوعين: الأولى، معطيات تمهد للصراع في حالة تفاقمها، كالنزاع، والتوتر، والمنافسة، والآزمة. أما الثانية، فهي تلك المعطيات، التي تؤدي إلى اندلاع الصراع جراء فشل إدارته سلميا. ولعل أبرز المفاهيم، التي تعبر عن هذه المعطيات، هو مفهوم الحرب. لذا لنتذكر ان الحروب كانت دوما حصيلة لاحقة للصراعات بين الدول، وليس سابقة عليها. وفي ضوء ما تقدم، غني عن القول إن اقتران الصراع الدولي بمفهوم محدد وواضح يستدعي عدم استخدامه بدالة مفاهيم أخرى لا علاقة مباشرة لها به.

يفيد تاريخ ظاهرة الصراع الدولي إنها ظاهرة ممتدة عبر الزمان. لذا لم يكن تطورها بمعزلٍ عن معطيات كل حقبة تاريخية. والشيء ذاته ينسحب على زمان ما بعد نهاية الحرب الباردة. فهذه الظاهرة تمر، جراء معطيات هذا الزمان، بثلاثة أنماط من التطور: أولا، التطور الكمي، الذي يفيد بانخفاض معدل اندلاع الصراعات الدولية وتسويتها (بمعنى فضها) عبر استخدام القوة العسكرية بالمقارنة مع زمان ما قبل انتهاء الحرب الباردة. ثانيا، التطور الكيفي، الذي يفيد ببروز نمط من الصراعات لا تكون حكومات الدول أطرافها، وإنما بين وحدات لا ينطبق عليها مفهوم الدولة، ومثالها المنظمات الإرهابية، والميليشيات المستخدمة من قبل إحدى الدول خارج حدودها لمصلحتها، وقوى داخلية مسلحة، وبين حكومة إحدى الدول. أما التطور الثالث، فهو التطور المفاهيمي، الذي يشمل بلورة ثمة مفاهيم جديدة، أو تعديل مفاهيم سابقة لها علاقة وطيدة بظاهرة الصراع الدولي، ولاسيما مفاهيم الوقاية من الصراع، وانتشار الصراع، وحفظ السلام، وبناء السلام، وتحول الصراع.

وغني عن القول إن الصراع الدولي يقترن أساسا بالصراع بين الدول القومية، ولا سواها. وقد قيل" أن الدولة القومية أضحت تنتمي إلى تراث الماضي." إن مثل هذا القول لا تدعمه الخصائص، التي تنفرد بها هذه الدول بالمقارنة مع سواها من الوحدات من غير الدول. لذا سيبقي دورها، حاضرا ومستقبلا، مهما. هذا "...لغياب البديل المناسب"، كما يؤكد بول كنيدي، أو لآنها"...هي التي تقرر الحرب او السلام والبيئة التي يلجأ اليها الإنسان لإبراز خصوصيته وهويته"، كما يؤكد بريجينسكي.

ولا تلغي ديمومة الأهمية التي تحظى بها الدول، حقيقة عدم تماثلها من حيث قدراتها الموضوعية والذاتية على الفعل الدولي الهادف والمؤثر. لذا هي، عندنا، أما دول عظمى، أو كبرى، أو متوسطة، أو صغيرة، أو صغرى. وقد أفضي تباين هذا الواقع الى تباين مماثل على صعيد مشاركة هذه الدول في الصراعات الدولية. ويفيد تاريخ هذه الصراعات أنها كانت أما صراعات بين الدول الكبرى، أو صراعات بين دول كبرى ودول صغيرة، أو صراعات بين الدول الصغيرة. ومنذ نهاية الحرب العالمية الثانية تراجعت صراعات الدول الكبرى بسبب الردع المتبادل. أما صراعات الدول كبرى–الدول الصغيرة فقد استمرت بمعدلها النسبي. أما الصراعات بين الدول الصغيرة فقد تصاعدت عددا، وصارت تشمل صراعات هذه الدول ايضا مع الدول الصغرى. ويلاحظ بعد انتهاء الحرب الباردة استمرار الاتجاهات السابقة لنوعية الاطراف المشاركة في الصراعات الدولية. أضافة إلى نمو الصراعات الداخلية/الأهلية/ في عالم الجنوب بين قوى داخلية رافضة للواقع السائد في دولها وبين حكوماتها.

غني عن القول، أن الصراعات الدولية لا تختلف فقط عن الصراعات الداخلية، وإنما تختلف فيما بينها أيضا. ومرد ذلك تميز كل صراع بديناميته وسماته الخاصة. ومع ذلك يجمعها قاسم مشترك، هو إنها لا تندلع من تلقاء ذاتها، وإنما جراء مدخلات (بمعنى أسباب) مباشرة وسابقة عليها من حيث الزمان وذات تأثير في طبيعة التفاعلات اللاحقة، المباشرة وغير المباشرة بين أطرافها .وعندنا تتوزع هذه المدخلات، وتبعا لمضامينها، ثلاثيا إلى مادية، وعقيدية، وخارجية/دولية.

.وعلى الرغم من أن الصراعات الدولية تتميز بخصوصيتها، بيد أن هذه الخصوصية لا تلغي تماثلها على مستويين متفاعلين: أولهما، اقترانها بمراحل، قد تكون متعاقبة أو قد لا تكون وكذلك بتفاعلات سلبية أو ايجابية بين أطرافها الأساسية. وتنحصر هذه المراحل في أربع منها، هي: البداية، التطور، التسوية بمعنى الحل، وما بعد التسوية. أما المستوى الثاني. فهو أن هذه التفاعلات تُعد حصيلة لأنماط من التفكير تفضي إلى الآخذ باستراتيجيات محددة لأغراض التعامل مع تطورات الصراع. سلبا أو إيجابا في مراحله المتعددة،

وقبل تناول هذه الاستراتيجيات، تجدر الإشارة إلى أن الصراع عندما يصل إلى مستوى عال من الحدة، فإنه يفرض على أطرافه الخيار بين أما البديل الأحسن، الذي يؤدي إلى التسوية السلمية ومن ثم الحل الدائم، أوأما البديل الأسوأ، الذي يقترن بالحرب ومن ثم بالتسوية الإكراهية. لذا لا تقترن الصراعات الدولية بنهاية واحدة. والشيء ذاته ينسحب على مخرجات الصراع. فبعض الصراعات تنتهي وجميع الأطراف رابحة وخاسرة في أن وبدالة اللعبة غير الصفرية. كما أن بعضها الآخر فهو ينتهي وثمة طرف هو الرابح، والآخر هو الخاسر وبدالة اللعبة الصفرية.

وأما عن إستراتيجيات التعامل مع الصراع، فهي ابتداءً لا تكون بمعزل عن تأثير نوعية ثقافة كل من أطراف الصراع، ومن ثم أنماط التفكير

الناجمة عنها. وجراء هذه العلاقة تتعدد هذه الأنماط. فهي قد تكون من نمط تلك التي تجنح إلى أما تجنب الصراع والانغماس فيه، أو إلى التنازل لصالح الطرف الآخر، أو إلى إكراه هذا الطرف، أو إلى تبني الحل الوسط سبيلا لتحقيق المصالح المنشودة من قبل الأطراف المتصارعة. وكما أن العلاقة بين الثقافة وأنماط التفكير، تفيد بدور الأولى في تحديد الثانية، كذلك هي العلاقة بين أنماط التفكير والإستراتيجية., فالثانية هي حصيلة للأولى. لذا تتنوع الإستراتيجيات، التي تتماهى مع هذه الأنماط، ولاسيما إستراتيجيات التجنب، التكيف، المنافسة غير السلمية، التعاون. وغني عن القول إن نجاح كل من هذه الإستراتيجيات يتطلب توافر ثمة شروط. ومن بينها كفاءة التوظيف مثلا.

ولترجمة الأهداف، التي تقترن بهذه الإستراتيجيات إلى واقع ملموس، تلجأ الدول، عادة، إلى توظيف تلك الأدوات، التي تشكل قدرتها على الفعل الهادف والمؤثر. ومن هنا تقوم بين الأهداف المنشودة والأدوات المستخدمة علاقة قد تكون طردية موجبة أو عكسية سالبة. فهي تكون طردية موجبة عندما تفضي الادوات المستخدمة إلى تحقيق الهدف المنشود. وهي تكون عكسية سالبة عندما تعجز هذه الأدوات عن تحقيق الهدف المنشود.

إن دور هذه الأدوات لا يقتصر على تحقيق ثمة أهداف منشودة، مع أهمية هذا الدور، وإنما يمتد ليشمل بناء الخاصية الأساسية، التي تتميز بها العلاقة السائدة بين دولتين في وقت محدد. فالدول لا تتعاون، أو تتنافس، أو تتصارع، جراء أهداف متماثلة، أو متنافسة، أو متناقضة، فحسب، وإنما كذلك جراء توظيف أدوات محددة. فمثلا يفيد استخدام أدوات الإكراه، على تعددها، بعلاقة دولية تتميز بالصراع. بيد أن الوظائف التي تؤديها بعض هذه الأدوات ليست ذاتها في الأوقات كافة.

وتنطوي ثمة متغيرات، كالاتجاه الذي يفيد به تطور الصراع: تراجعا، أو تصاعدا، أو تسوية، أو حلا على تأثير تفضي مخرجاته إلى أن تتعدد وتتباين الأدوات المستخدمة تبعا لنوعية هذا التطور. وكذلك تفيد الوظائف التي تؤديها بعض هذه الأدوات إنها ليست واحدة في المواقف كافة. فدور بعضها يختلف من موقف إلى آخر. ومثالها أداة الأعلام الخارجي. ففي مواقف الصراع تؤدي هذه الأداة وظيفة غير تلك التي تؤديها قي مواقف التعاون بين الدول. ومع ما تقدم تقترن الصراعات الدولية بأدوات يؤدي استمرار توظيفها إلى اندلاع الصراع، أو إلى تصاعده، أو تسويته، أو حله نهائيا، وتكمن هذه الأدوات في أربع مجاميع: دبلوماسية، وقانونية، واقتصادية، وعسكرية.

وتتعدد المستويات العلمية لتحليل ظاهرة الصراع. ويكاد الرأي يتفق على ثلاثة منها، هي تلك، التي تتمحور حول دور صانع القرار، والدولة، والنظام الدولي. ونحن نتبنى مثل هذه الرؤية وننطلق منها. الآول، فهو ينطلق من الجزء، أي من صانع القرار، لتفسير الكل، أي الصراع الدولي. فدعاة هذا المستوى يرون أن كيفية إدراك صانع القرار لصراع دولته مع سواها يَعد حصيلة لمجموع تلك المتغيرات النفسية الخاصة به والمؤثرة في قراراته وأنماط سلوكه. وتكمن هذه المتغيرات في ثلاث مجاميع منها:

الأولى، تَفيد بتأثير سمات شخصية صانع القرار. وأما الثانية، فهي تلك، التي تكمن في العقائد الفلسفية، التي ينطلق منها صانع القرار لتشخيص وتفسير المعطيات السائدة في البيئة الخارجية لدولته، وكذلك في مجموعة العقائد الأدائية، التي يستخدمها لاختيار بدائل قراراته، ومن ثم أنماط سلوكه. وأما عن المجموعة الثالثة، فهي ترتبط بتأثير التجارب الشخصية لصانع القرار في نوعية إدراكه لدلالات أفعال دولة أخرى حيال دولته وكيفية إدارته

وأما عن المستوى التحليلي الثاني والخاص بالدولة، فهو الآخر ينطلق من الجزء، أي من الدولة، سبيلا لتفسير حركة الكل، أي الصراع الدولي، ويجعل من معطيات الواقع الموضوعي والذاتي الداخلي للدولة مدخلا لتفسير عموم أنماط سلوكها السياسي الخارجي. وتَعد المدرسة الواقعية، بشقيها التقليدي والجديد، من بين أهم المدارس، التي اتخذت من مستوى الدولة سبيلا لتحليل الظواهر السياسية الدولية. وتنطلق هذه المدرسة من رؤية مركزية قوامها أن الدولة هي المصدر الأساس لاندلاع الصراعات الدولية، هذا جراء نزوعها إلى ضمان مصالحها الحيوية عبر استخدام مصادر قدرتها على الفعل للتأثير نفسيا و/أو ماديا في سلوك سواها لصالحها. ومن هنا تتخذ من مفهومين أساسين هما: المصلحة والقوة مدخلا لتفسير الواقع السياسي الدولي..

وأما عن المستوى التحليلي الثالث، فهو، وعلى خلاف مستويات التحليل السابقة، يجعل من الكل (النظام الدولي) السائد بمثابة المدخل الأساس لتفسير سلوك الجزء (الصراع الدولي). ومرد ذلك أن الدول، وعلى الرغم من أهمية تأثير معطياتها الداخلية في صناعتها لأنماط سلوكها السياسي الخارجي، إلا إن هذه الأهمية لا تلغي أن الدول ما عادت تستطيع، مثلما كانت في زمان مضى، تبني سياسة العزلة ومن ثم عدم التفاعل مع معطيات وخصائص عالم هي جزء منه. وجراء ذلك، ما عاد يمكن فهم أنماط السلوك السياسي الخارجي للدول بمعزل عن تأثير تلك المعطيات والمتغيرات الدولية، التي يفرزها الهيكل الأشمل الذي تنبع منه. أي النظام الدولي السائد في وقته.

وبالقدر الذي يتعلق بمدخلات الصراع الدولي يربطها دعاة هذا المستوى التحليلي بنوعية الهيكلية الدولية الراهنة وتأثير مخرجاتها. وعلى الرغم من أن الرأي يجمع على أن هذه الهيكلية تتماهى والقطبية الاحادية الامريكية، ألا أن العديد من الآراء تتفق على أن النظام الدولي الراهن يمر بمرحلة اعادة التشكل على نحوٍ جديد. بيد أن الرأي يختلف ايضا حول نوعية الهيكلية، التي ستكون لصيقة به مستقبلا. فبينما يرى البعض أن ديمومة القطبية الأحادية (الأمريكية) هي المحتملة، يذهب أخرون إلى القول إن القطبية الثنائية (الولايات المتحدة الأمريكية والصين) هي التي سيقترن بها النظام الدولي، وبالمقابل يؤكد أخرون أن القطبية المتعددة هي المرجحة.

وعندنا، تفيد اتجاهات المعطيات الدولية، ومنذ انتهاء الحرب الباردة عام 1990، أن النظام الدولي ولاسيما في عام 2050 يتجه وبأرجحية عالية إلى أن يكون متعدد الأقطاب. وإلى هذا الاحتمال تفضي مخرجات ثلاث مجاميع من المعطيات الدولية: الأولى، وتتعلق بالتآكل التدريجي للقدرة الأمريكية الداخلية على الفعل الدولي، ومن ثم تحول الولايات المتحدة الأمريكية إلى مجرد قوة كبرى كسواها. أما المجموعة الثانية، فهي تفيد بنمو القدرات التأثيرية لعدد من القوى الكبرى الجديدة/ أو البازغة في عالمي الشمال والجنوب. أما المجموعة الثالثة، فلها علاقة بانتشار التعددية الدولية النووية.

والسؤال، هل ستبقى ظاهرة الصراع ممتدة عبر الزمان؟ للإجابة نقول: مهما كان شكل الوحدة الإنسانية، التي تمارس الصراع ابتداءً من الفرد ذاته، مرورا بالجماعات الداخلية، وانتهاءً بالدولة القومية، فإنها تبقى محكومة بقانون تاريخي هو قانون الصراع. لذا قيل: «إن الامر المؤكد هو أن عالم المستقبل لن يكون عالما بلا صراعات..» ولنتذكر بهذا الصدد ان المصالح التي تسعى الدول إلى إنجازها، والتي تشكل أساس وجودها، تتماثل في أحيان، ولكنها أيضا تختلف في أحيان اخرى، هذا جراء مدى تماثل او تناقض هذه المصالح. ويشير الواقع الدولي إلى ان تماثل المصالح يفضي بالدول في العموم إلى التعاون. والعكس كذلك صحيح. فتناقض المصالح يحفزها على التنافس والصراع الدائم أيضا. لذا ذهب الواقعيون الجدد (The New Realists) إلى القول: " إن البنية الفوضوية للنظام الدولي ترفع من درجات عدم الثقة والشك بين الدول، ومن ثم من الحرب، التي استمرت إحدى السمات الدائمة للسياسة الدولية ". وجراء مخرجات هذه البنية الفوضوية ستبقى ظاهرة الصراع الدولي لصيقة بالنظام الدولي. بمخرجاتها السلبية. ولا يلغي هذا الواقع المرجح الزيادة الواضحة في عدد الصراعات الداخلية منذ نهاية الحرب الباردة. ■

*استاذ العلوم السياسية الدولية ودراسات المستقبلات

كتابة وإعداد: ماجدة داغر . شاعرة وإعلامية لبنانية

لكلّ مقامٍ ...

وجوهنا المكسوّة بالخراب

تقترب الحرب كثيراً، تراها تتلطّى خلف الباب الموارب، وخلف النافذة الدامعة، وتحت السقف المشبوه، وقرب المفترق المؤدّي إلى الحيّ، وتحت الغيمة العابرة. تشعر أنها تخنقك بورديك، تموت وأنت تشعر بأنفاسك تتلاشى تحت ركام كثيف أو مع استغاثات بعيدة.

تقترب الحرب كثيراً. إنها هنا، في الشارع الموازي. إنها هنا في قلب بيروت. الحرب هنا على مشارف الروح.

هي لم تكن يوماً بعيدة، لبنان كله قريب، مدينة كبيرة وفي أحلامها قرىً هانئة. الجنوب أيضاً قريب، هو هنا، في مرمى القلب مباشرةً، وفي مرمى الصواريخ والطائرات والموت والدمار. ضاحية بيروت أيضاً قريبة، هي هناك على بعد شهقة ودمعة. البقاع، وجبل لبنان، والشمال، جميعها في النواحي القريبة، وجميع الطرق تؤدّي إلى عشقها.

تقترب الحرب، تحصي أنفاسنا الأخيرة، تقيس مسافة خط النار، وتكتب موتًا جديداً. موتٌ لم يمت منذ عقود، هو يختبئ، فقط، خلف أوهام السلام، ثم يأتي من يجده.

قالوا إنّها الحرب الأخيرة، وإنّ من سيبقى على قيد الحياة سيخبر الآخرين عن سرّ النجاة. سيعلّم الآخرين كيف يعيشون مع الجراح والندوب وأشباح الليل الطويل. سيروي لهم حكايات الركام والآلام والأحلام الذابلة. سيكتب لهم قصة انتظار الموت على الأسرّة وبين الجدران، في الشوارع وعلى الأرصفة، في الشتاء وتحت السماء الصافية. قصة موت رَوتها له أسوار المدينة المخلّعة. سرّ النجاة الذي خذل المنكسرين والمنهزمين والساكتين عمّا لا يُحصى من أشكال الخيبة. بمَ عساه يضمّد جراح أرواحهم، ذلك الذي بقي على قيد الحياة وروحه بلا قيد؟

قالوا إنها الحرب الأخيرة، ولكنها تمعن في الاقتراب، تأكل من أكباد الخائفين وتمشي في شوارع المدن الرهينة. تعبر على جسور صمت العالم، وتجتاز رهاب الزمن المعلّق في أعلى شجرة الموت.

كيف تكون الحرب الأخيرة ولم تُبقِ شاهداً على بدايتها؟ بدايات الحروب كذبة لعينة، الحروب لم تبدأ يوماً، لأنّ الحروب لم تنته أبداً. الحروب صنعت وجوهنا المكسوّة بالخراب، وملامحنا المنهكة من انتظار الضوء. الحروب لعبة الأقدار الضجرة وصانعي غَيب العالم الجديد، فكيف تنتهي إن لم يتكسّر موج السلام على شواطئها المالحة؟

تقترب الحرب كثيراً، تدنو من المسافة صفر، تخترق حُجبًا ومتاريس وأكياس رمل ومخابئ ومعاقل مصفحة وكل مساحات الأمان. تعرف أعشاش الطيور والجحور وكهوف النسّاك وملتقيات العاشقين وبيوت النحل وغرفة الملكة. تغزو مخاوفنا وقلقنا وانتظاراتنا وآمالنا وخذلاننا، فكيف لها أن تنتهي؟■

ماجدة

درع «لاهاي» فوق قلاعنا:

حصانة دولية لـ 39 شراعاً ثقافياً في لبنان

■ في لحظة مفصلية من تاريخ الصراع مع النسيان والدمار، وفي خطوة استثنائية تكرّس مكانة لبنان الحضارية على الخريطة العالمية، انتزع لبنان اعترافاً دولياً يحوّل ممتلكاته الثقافية من «شواهد صامتة» إلى «محميات قانونية» محصنة بالشرعية العالمية. فقد أعلنت منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة ـ اليونسكو عن إدراج 39 موقعًا أثريًا وتاريخيًا لبنانيًا تحت بند «الحماية المعززة»، وهو أرفع وسام قانوني يمنحه بروتوكول لاهاي الثاني (1999) للمواقع التي تمثل قيمة إنسانية استثنائية لا تقبل القسمة أو التفريط.

يأتي هذا القرار الصادر عن لجنة حماية الممتلكات الثقافية في حالة النزاع المسلح، كإعلان «سيادة ثقافية» في وجه العبث، وليمثل انتصارًا للدبلوماسية الثقافية اللبنانية، وتأكيدًا على أن الهوية الوطنية الراسخة في التاريخ هي ملك البشرية جمعاء لا يجوز المساس بها. فمن أعمدة بعلبك العصيّة على الزمن، إلى قلاع صيدون وصور التي تحرس الذاكرة المتوسطية، وصولاً إلى عنجر وجبيل ووادي قاديشا، باتت هذه الجغرافيا مغلفةً بتعهّدات دوليّة تُجرّم المساس بها عسكريًا أو لوجستيًا. وبالتالي، فإنّ دخول هذه المواقع إلى نادٍ ضيّق من المعالم العالمية المحميّة، يضع المجتمع الدولي أمام اختبار حقيقي لتنفيذ قوانينه، حيث يُصنّف أي اعتداء عليها كـ "جريمة حرب" تقع تحت طائلة الملاحقة الجنائية الدولية بلا تقادم.

ما يميز هذا الإنجاز الثقافي هو شموليته، فهو لم يكتفِ بالمواقع الكبرى المدرجة أصلاً على لائحة التراث العالمي، بل مدّ ظله ليشمل معالم حضارية في العمق اللبناني، من الشوف إلى المتن وبيروت، مؤكدًا أن "الهوية اللبنانية" وحدة لا تتجزأ. إن هذه الخطوة تمنح المؤسسات اللبنانية الرسمية والأهلية «مظلة أمان» تتيح لها الولوج إلى برامج الدعم التقني والتمويل الدولي المخصص للصون الطارئ، والتوثيق الرقمي الذي يضمن بقاء هذه الكنوز حتى لو عصفت بها الأنواء. إننا اليوم أمام مشهد ثقافي جديد، فلبنان الذي قدّم الأبجدية للعالم، يستعيد اليوم «حق الحماية» لهذا الإرث.

وبموجب هذا القرار، ستتلقى المواقع الخاضعة للحماية المعززة دعماً فنياً ومالياً وحماية قانونية، وتدابير استباق المخاطر وإدارتها، وتوفير تدريب إضافي للمختصين في المجال الثقافي والعسكري. كما تسهم الحماية المعززة في توجيه رسالة إلى المجتمع الدولي بأسره حول الحاجة الملحّة لحماية هذه المواقع.

وقالت اليونسكو في بيان: "تتمتع هذه المواقع الثقافية التسعة والثلاثون الآن بأعلى مستوى من الحماية القانونية ضد الاعتداء والاستخدام لأغراض عسكرية. ويُعدّ عدم الامتثال لهذه البنود انتهاكاً جسيماً لاتفاقية لاهاي لعام 1954 وبروتوكولها الثاني لعام 1999، ويشكّل أساساً محتملاً للمسؤولية الجنائية".

تستكمل هذه المبادرة الطارئة الجهود التي بذلتها اليونسكو لحماية التراث الثقافي في البلدان المتضررة في الشرق الأوسط منذ بداية الحرب.

ملتقى الرواية الشفوية الفلسطينية في رام الله

■ تحت عنوان «الرواية الشفوية الفلسطينية: حكاية شعب وذاكرة وطن»، أطلقت وزارة الثقافة الفلسطينية فعاليات ملتقى متخصص في رام الله، وتحديداً في مركز خليل السكاكيني، في أوائل شهر نيسان/أبريل من عام 2026. الملتقى شهد مشاركة واسعة من نخبة الكتّاب، والأكاديميين، والباحثين، والمؤرخين، بهدف تطوير أدوات توثيق الرواية الشفوية الفلسطينية، واستخدام الوسائط الحديثة لحفظها من الضياع، وصولاً لبناء أرشيف وطني شامل.

وقد توزع جدول أعمال الملتقى على ثلاث جلسات رئيسية، ناقشت الأولى الأسس النظرية والأدوات والإشكاليات التي تواجه الرواية الشفوية، بينما ركزت الجلسة الثانية على دور هذه الرواية في تشكيل معركة الوعي وتثبيت السردية الفلسطينية في مواجهة روايات الاحتلال. واختتم الملتقى بتقديم مجموعة من التجارب الشخصية في توثيق الرواية الفلسطينية، مستعرضاً قصصاً حية عن النكبة والشتات واللجوء.

وفي كلمته الافتتاحية، أكد وزير الثقافة عماد حمدان على ضرورة الانتقال بالرواية الشفوية من إطار التداول الشعبي إلى فضاء التوثيق العلمي المنهجي، وبناء أرشيف وطني جامع يحفظ الذاكرة الجمعية .وأكد أهمية تطوير أدوات توثيق الرواية الشفوية باستخدام الوسائط الحديثة، وبناء أرشيف وطني جامع يحفظ هذه الذاكرة من الضياع، وتمكين الباحثين والمهتمين من الوصول إلى مصادر موثوقة، والعمل على تحويل هذه الروايات إلى مواد تعليمية وثقافية وإعلامية تعزّز الوعي الوطني. فمسؤولية المؤسسات الثقافية والأكاديمية، الباحثين والمثقفين، تتمثل بتحويل هذه الرواية من ذاكرة مهددة بالاندثار، إلى معرفة موثقة، وقوة في معركة السردية.

وقال مدير عام الإدارة العامة للرواية ورئيس الملتقى حسام أبوالنصر: «إن التاريخ الشفوي برز بعد عام 1948 لتوثيق قصص النكبة، في خضم النزوح والشتات، ليغطي نواقص الأحداث وأن لا يكون بديلاً عن كتابة التاريخ بل جزءاً مهماً منه، وقد ظهر كعلم في القرن الثامن عشر والتاسع عشر، فيما استطاع الفلسطينيون أن يستخدموه كقوة فكرية وثقافية تستطيع أن تواجه الرواية الإسرائيلية المزيفة، وقد شهدت العشرين عاماً الأخيرة عمليات ممنهجة ومأسسة للرواية الشفوية، ووضعها في إطار علمي صحيح».

سعيد خطيبي يغالب «مجرى النهر»

■ وسط دخان الحروب الذي يلف المنطقة، انبثق صوت السرد العربي ليعلن انتصار الجمال، حيث توّجت اللجنة العليا للجائزة العالمية للرواية العربية (بوكر) الروائي الجزائري سعيد خطيبي بلقب دورتها التاسعة عشرة عن روايته الاستثنائية «أغالب مجرى النهر».

في سابقة فرضتها التحديات الإقليمية الراهنة، جاء الإعلان عن فوز خطيبي "افتراضياً"، ليؤكد أن الأدب لا يتوقف حتى حين تصمت المطابع أو تلغى المعارض. وبحسب منسقة الجائزة، فلور مونتانارو، فإن الرواية استطاعت انتزاع الصدارة من بين 137 عملاً روائياً، خضعت جميعها لمقاييس نقدية صارمة، وصولاً إلى قائمة قصيرة ضمت نخبة من فرسان الكلمة.

رئيس لجنة التحكيم، الناقد التونسي محمد القاضي، قدم قراءة بليغة في حيثيات الفوز، مؤكداً أن العمل لم يقع في فخ التوثيق السردي الجامد، بل حلق في فضاءات «الفكر الجمالي». وأشار القاضي إلى أن الرواية تمثل طوق نجاة في عالم يعمه الدمار، حيث تفتح «زاوية بديلة» تعيد ترميم النفس البشرية من خلال حبكة نفسية معقدة تشد أنفاس القارئ حتى السطر الأخير.

بهذا الفوز، يرسخ خطيبي (مواليد 1984) مكانته كواحد من أبرز الأصوات الروائية الشابة التي نجحت في «تدويل» الوجع الجزائري. الكاتب الذي نهل من أدب السوربون وخبر دهاليز الصحافة، قدم في «أغالب مجرى النهر» استعارة وجودية كبرى، حيث تتحول حكاية الطبيبة «عقيلة تومي» من تحقيق بوليسي في جريمة تجارة أعضاء إلى صرخة أخلاقية في وجه حتمية التاريخ.

إن «مغالبة المجرى» التي طرحها خطيبي هي محاولة أدبية شجاعة لاستعادة المعنى من ركام «العشرية السوداء» في الجزائر، وصياغة غدٍ لا يرتهن لمرارات الماضي، بل يطوعه بالحبكة والجمال.

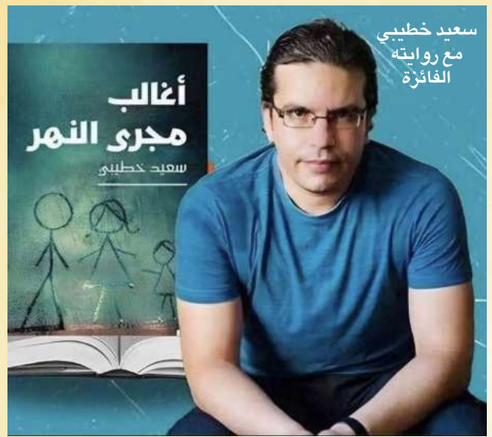

سعيد خطيبي مع روايته الفائزة

أيقونات

الشاعرة فروغ فرخ زاد...

هندسة الانعتاق في القصيدة الإيرانية الحديثة

■ في سجل «أيقونات» الثقافة الإنسانية، يطلّ اسم الشاعرة والمخرجة الإيرانية فروغ فرخ زاد (1935-1967) كشهب أضاء سماء الحرية في فضاء محاصر بالتقاليد، فكانت زلزالًا شعريًا وإنسانيًا هزّ أركان القصيدة الكلاسيكية، لتخلق من انكساراتها الذاتية لغة مكشوفة الوجدان. هذه اللغة تمكنت من أن تصبح ركيزة أساسية في تحديث البنية الجمالية والفكرية للشعر الفارسي المعاصر.

استطاعت فروغ الأيقونة الجميلة، في اثنين وثلاثين عاماً فقط، أن تنقل القصيدة من القوالب الكلاسيكية الموروثة إلى رحاب الحداثة الوجودية، مرسّخةً لغةً تتسم بالوحدة العضوية والصدق الفني المطلق. صدقٌ شكّل إحدى نقاط قوتها التي واجهت بها العالم، وأسّس لأهم خيباتها وانكساراتها وهزائمها.

اتّسمت بدايات فروغ في دواوينها الثلاثة الأولى: «الأسيرة»، «الجدار»، و«عصيان»، بمحاولة جادة لفك الارتباط مع السائد الشعري، ليس فقط على مستوى الشكل (الوزن والقافية)، بل على مستوى المضمون الإنساني. لقد كانت تسعى لترسيخ «أنا» واعية بذاتها، قادرة على التعبير عن هواجسها الذاتية من دون مواربة. إلا أن النضج الحقيقي والقطيعة المعرفية مع المرحلة الرومانسية تجليا في ديوانها الفارق «ولادة أخرى» (1964). في هذا العمل، انتقلت فروغ من التعبير عن «الألم الفردي» إلى «الوعي الوجودي»، حيث أصبحت المفردة عندها تحمل أبعاداً فلسفية تخترق الزمن، والموت، والعدم، وترسّخ الاتصال بالطبيعة. لم ينفصل المنهج الأدبي، عند فروغ المخرجة، عن رؤيتها السينمائية، ففي فيلمها الوثائقي «البيت أسود»، الذي يتناول حياة المصابين بالجذام، قدمت أنموذجًا علميًا وفنيًا في آن واحد. فاستخدمت تقنيات «الموجة الجديدة» لتقديم قراءة سيميائية للقهر البشري، مزجت فيها بين النص القرآني، والمزامير، وشعرها الخاص، لتخلق هارموني يربط بين قبح المرض وطهرانية الروح الإنسانية. هذا العمل (الذي لم تركن فيه إلى الاستعطاف) يُدرَّس اليوم كواحد من أهم الوثائق السينمائية التي زاوجت بين الأنثروبولوجيا والشعر.

رحلت فروغ إثر حادث سير مأساوي (أو هكذا قيل؟)، مخلفةً وراءها مشروعًا شعريًا لم يكتمل بعنوان «لنؤمن ببداية الفصل البارد». في هذا النص، بلغت ذروة التكثيف اللغوي، حيث استشرفت برودة العلاقات الإنسانية في العصر الحديث.

إن قيمة فروغ فرخ زاد كأيقونة ثقافية تكمن في قدرتها على جعل الشعر أداةً للمعرفة والاستكشاف، لا مجرد وسيلة للزخرفة اللفظية. لقد آمنت بأن «الكلمة هي التي تبقى»، فكانت حياتها القصيرة بالزمن، الملهمة بالأثر، برهاناً على أن المبدع الحقيقي هو من يستطيع اجتراح ولادة دائمة من صلب الغياب، كما في قولها: «تذكّروا التحليق، فالعصفور فان».

ما الذي يفعلهُ الكُتّاب والمثقّفون في الأزمات؟

الحربُ في لبنان، الكلمة في الميْدان

لبنان ـ نسرين الرجب*

«هذه الدارُ المهدّمة داري
وذاك الدمُ المسفوح عند النهر دمي
الطفلةُ المقتولة ابنتي،
والممسكُ بالسلاح في الغابةِ أخي،
أهلي بين النازحين،
والنازحون شعبي،
فكيف لا تكون هذه الحربُ حربي؟!»

بهذه الكلمات عبّر الروائيّ اللبنانيّ ابنُ مدينة صور الجنوبيّة محمد طرزي، عن موقفه المتعاطف مع شعبه وأهله في الحرب الشعواء والمُدمّرة التي شنّها العدوّ الإسرائيليّ على جنوب لبنان وضاحيته منذ مطلع شهر آذار العام 2026 وما زال حتى تاريخ كتابة هذا المقال، بحجة القضاء على الوجود المسلّح للمقاومة اللبنانية المتمثّلة بـ"حزب الله" والذي يهدّد بحسب الرواية الإسرائيليّة أمن إسرائيل، وهي التي لم توقف اعتداءاتها وانتهاكاتها منذ اتفاق وقف إطلاق النار الذي وُضع أواخر العام 2024!

ما الذي يفعلهُ الكُتّاب والمثقّفون في الحرب؟ سؤال يطرح نفسه في هذا المقال، ويستعين بتجارب ظهرت على مواقع التواصل الاجتماعي، هل يكفي أن يُنتج المثقف كتباً وروايات وشعراً! هل عليه حماية ذاته فينقلب على تاريخ أمّته؟! أم يهرول إلى أماكن بعيدة لطلب الراحة والاستجمام، واستنزال مطر الأفكار الإبداعيّة؟ أيّ إبداع يتكوّن عندما يكون الكاتب مفصولاً عن تاريخ وواقع أمّته؟

وفي الواقع الأدبيّ اللبنانيّ، هناك كتّاب التمسوا في الصمت تعزية، هناك كتّاب لم يستطيعوا أن يتعاطفوا وألبسوا مواقفهم لباس الحياد، ومنهم من تطرّف في النقد فكان ذئبًا على الضحيّة ونعجة في حضرة الجلاد.

الكاتب محمد طرزي
«لا أريد أن أنجو وحيداً!»

■ في حديث لـ «الحصاد» عن دور الكاتب في الحرب، يرى الكاتب محمد طرزي: «على المثقّف أن يكون شاهداً، يوثّق ما يجري، ويفكّك الخطابات الدعائية؛ صوتًا يحمي المعنى الإنسانيّ من الانهيار. مع ذلك، قد يختار بعض الكتّاب التعبير بطرق أقل صخبًا أو أكثر مواربة، هذا لا ينتقص من التزامهم الأخلاقي. كما لا ينبغي الحكم على جميع الصامتين بالتقصير؛ فقد ينبع صمتهم من رفضهم لنهج معين، أو من اقتناعهم بأن هذه الحرب كان بالإمكان تجنّبها».

منذ بدء هذه الحرب يواظب طرزي على النشر وإبداء تعاطفه ودعمه لقضيّة وطنه، ولحقّ الجنوبيين بالدفاع والتمسّك بأرضهم، مستثنيًا نفسه من أيّ تبعيّة سياسيّة أو حزبيّة، منطلقًا من قناعاته الأخلاقيّة:

«حين أعبّر عن موقفي، خلال تدمير البيوت وقتل الناس، لا ألتفت إلى الخلافات السياسيّة. وأجد أنّه من واجبي الوقوف ضد الغزاة كلّما اندلعت الحرب».

ما الذي يمنع الكاتب وهو يتوجه في أعماله للناس أن يكون مع الناس وللناس؟! هل النأي بالنفس خيانة أو فعل نجاة برأيك؟ عن هذا السؤال يجيبنا طرزي:

«لا أميل إلى انتقاد الكتّاب الذين يختارون عدم الانخراط في الحرب القائمة، على الرغم من أنّني اتّخذتُ خيارًا مغايرًا. أرى أن لكلّ كاتب قضيته، التي غالبًا ما تدور حولها كتاباتُه وأفكاره، وقد يرى في بعض القضايا دهاليز تُشتّت جهده وتضعف قدرته على الانتصار لما يؤمن به.

في النهاية، من الصعب الحديث عن «المثقف المطلق»، والمتاح واقعيًا هو «المثقف الممكن»، الذي يعمل ضمن حدودٍ يفرضها واقعه».

ويضيف: «ليس بالضرورة أن يعدّ النأي بالنفس خيانة. فالصمت قد يكون اختيارًا لحيّز آخر يُعبّر فيه الكاتب عن موقفه بطريقة مختلفة. علمًا أن هناك لحظات مصيرية، يصبح فيها الصمت عبئًا أخلاقيًا، يصعب تبريره».

يؤمن طرزي بما للكلمة من أثر في دعم أوقات الحروب وفي لحظات الخوف والقلق من المستقبل، ولذلك يقول:

«هذا أقصى ما أستطيع أن أقدّمه؛ ضوءًا خافتًا، أنسجه لبعض التائهين في هذه العتمة. فأنا جزء من هذه المعاناة، لا أسعى إلى الابتعاد عنها، لا أريد أن أنجو وحيداً؛ نجاتي ليست منفصلة عن نجاة الناس من حولي».

فرح شمّاع
شاعرة لبنانيّة

■ على صفحتها في تطبيق الفيسبوك، نشرت الشاعرة اللبنانيّة فرح شمّاع:

«تماماً كما يُبرّر تحرّش الرجل بالمرأة
بحجة ثيابها،
ويُنسى الفعل ويُدان الجسد،
يُبرّر العدوان على شعب
بحجّة أنّه "استفزّ" قاتله.
ويُطمس تاريخٌ طويل من الخروقات والاعتداءات المستمرة
في الحالتين،
يُعاد تعريف الجريمة،
كي تناسب راحة المتفرّج،
ويُطلب من الضحية
أن تُعدّل وجودها
بدل أن يُطالب المجرم بكبح عنفه.
هذا منطق لا يصنع سلاماً
بل يعلّم الظلم كيف يصبح مقبولًا،
وكيف يُمارس بلا شعور بالذنب».

عباس الحسينيّ
تاريخ جبل عامل

■ منذ حرب الستين يومًا التي شنّها العدو الإسرائيليّ على لبنان العام 2024، حتى تكرارها بوتيرة أشدّ تدميرًا وتشريدًا لآلاف العائلات، آثر الباحث والروائيّ اللبنانيّ عباس الحسينيّ، ابن بلدة النميريّة في الجنوب، على نفسه الحديث عن جبل عامل (التسمية القديمة للجنوب)، وقام بإعداد حلقات مسجّلة على اليوتيوب عن تاريخ وحوادث جبل عامل منطلقًا من إيمانه وشعوره بالواجب اتجاه توثيق هذه الأحداث لغرض أخذ العبرة في الحاضر، حلقات تناول فيها شيعة جبل عامل بين الأمس واليوم (على اعتبار الشيعة هم المكوّن الأساسيّ لهذه المنطقة، ولهم تاريخٌ ممتد في محاربة الاحتلال ومقاومة الظلم)، وعن النكبات التي تعرّض لها جبل عامل (نكبة وادي الحجير 1920، نكبة ناصيف النصّار)...، مستمرًا حتى تاريخه بالنشر والتوثيق وتحليل الأحداث بسطور مقتضبة، من حينه اختزل المأساة بعبارة «علمني يا جبل عامل كيف أرثيك»، وقد دوّن تجربته في الحرب السابقة في رواية «الحرب بيننا يا حياة»، واليوم يتابع الحسينيّ ما بدأه ببث الوعي في منشورات قصيرة لم يفصل بها نفسه عن واقع الحرب القائمة ومن مكان نزوحه كتب: «شخصيًا، أشعر بالذل والقهر من التهجير والتعب النفسي والأرق وقلّة النوم بسبب بُعدي عن بيتي وضيعتي، وتوتر واضطراب بسبب تغيير عاداتي... جلّ ما أتمناه أن أكون في بيتي، جالسًا تحت شجرة الزنزلخت، أتناول القهوة، وأتمشى على أطراف الجبل، أتبادل الحديث مع جيراني...».

عبد الرحمن جاسم:
الحقّ هو طريق الثقافة

■ لم يُدخر عبد الرحمن جاسم الكاتب الصحفيّ وأُستاذ الكتابة الإبداعية في «دار المجمّع الإبداعي» في بيروت الحمرا، جهدًا بتحليل الوقائع ضمن إطار المصطلحات، وشرح ما يحدث بالرجوع إلى الكتب والمصادر العلميّة، وعن توصيف الوضع القائم، يقول: " الحرب حدثٌ جلل. هذا الحدث مصممٌ لا لمجرّد قتلنا الجسديّ، بل أيضًا النفسيّ، والحياتيّ، واليوميّ والعاديّ أيضًا. باختصار: هو مصمم لتخريبنا، وهذا ما يريده العدو أصلاً من شنّه للحرب. أن يغيّر نمط اعتيادنا اليومي على الحياة. حتى الأشخاص البعيدون كل البعد عن سياق الحرب ونطاقها المدمّر الماديّ، تتأثّر حياتهم كثيراً بما يحدث، يتأثر نظام وقتهم، نومهم، شربهم ومأكلهم».

يقرأ جاسم الواقع والتاريخ بعين الرقيب الخبير، فهو ليس من أنصار النظرة التفاؤليّة العاطفيّة، لذا وبكلّ وضوح يرى أنّ في عالمنا العربي كحضارة قائمة اليوم: «ليس لدينا نخب مثقفة في الوضع/العصر الحالي» ويُعلّل ذلك: «منذ تقريباً أكثر من أربعين عاماً، تغيب النُخب عن أيّ دور مباشر وحقيقي في تطوير الحضارة المشرقيّة/العربيّة خصوصاً. دور المثقّف العربي ينحصر فعلياً في التطبيل للأنظمة، حضور المؤتمرات التي لا تفيد أحداً شيئًا، والأهم الحصول على الجوائز والشهادات العليا. أما في القضايا الكبرى؟ غياب تام كما لو أنّهم غير موجودين نهائيًا. مثلاً 90% من الكتّاب ومدّعي الثقافة العرب لم يفتحوا فاهاً أو أشاروا إشارةً للحدث الفلسطيني منذ عامين وحتى اللحظة في غزّة. فهمت الأنظمة العربية أنّ للمثقفين دورٌ كبيرٌ في مناهضتها، ودفع الناس للثورة ضدّها، فدجّنوهم بالمال أو بالتهديد، ومن هنا غاب دور هؤلاء كلياً، وما غيابهم اليوم سوى نتيجةٌ لذلك».

فهو يؤكد أن دور المثقف الطبيعيّ الوقوف مع الحقّ في وجه الباطل، «فلسطين هي قضية الحق، وعدوّها هو الباطل (أياً كان هذا العدو). «فلسطين هي آخر احتلال امبريالي غاشم ظالم على وجه الكرة الأرضية، بالتالي الوقوف ضده هو أكثر أمر منطقي، عقلاني».

ويصرّح بأنّ الكاتب الذي يقول رأيه بصراحة، سيُكلّفه ذلك أن يكون منبوذًا على صعيد حضور المهرجانات الأدبيّة والجوائز المرموقة، ومحاربته من قبل الأنظمة والمؤسسات.

وعن تجربته يضيف:" شخصياً، الأمر لا يعنيني، بالنسبة لرأيي أعتقد أنه معروفٌ للغاية، وأقوله كل يوم تقريباً على صفحات مواقع التواصل، ناهيك عن برنامجي السينمائي "عين الكاميرا" على شاشة تلفزيون العالم، وكلاهما له بعد ثقافي. أنا لا أفهم السياسة، كل ما أكتبه هو "ثقافة"، السياسة تعني تغليب المصلحة الشخصية على الحق، فالكلمة أتت من تعبير «ساس الخيل» أي قادهم لموقع الماء (أو أي موقعٍ آخر) هذا بافتراض هنا النية الحسنة لمن

يقود هذه الخيل، ماذا لو كانت نيته شراً؟ إذا «الساس» هنا معناها يحتمل السوء قبل أي شيء، لأنها مرتبطة بالنية. أما الثقافة، فهي لا شأن لها بكل هذا: الثقافة (كما أقول دائماً لمتدربي في ورشة الكتابة الإبداعية) الحق هو طريقها، ولا تحيد عنه، ولا تعرف غيره".

ويختم كلامه: «بقيت نقطة أخيرة، بالنسبة للمستقبل، إن أشدّ لحظات الليل حلكةً هي آخره، وبعدها ينبلج الفجر، نحن في أيامٍ من هذا النوع، بالتالي إن شاء الله لن يكون إلا الحق منتصراً».

الشاعرة حنان فرفور
المحابرُ الجنوبيّة عبوات ناسفة

■ لم تنغلق الشاعرة حنان فرفور على معاناتها، وهي ابنة بلدة العباسيّة قضاء صور، وقد نزحت قسرًا بعيدًا عن مدينتها، فشاركت حزنها وأبدعته أبياتًا ونثرًا يحاكي أزمة الوعيّ الحاصلة وما أفرزته الحرب من بغضاء ونقمة داخليّة، فكانت صوتًا هادئًا على الرّغم من الغضب، روّضته بالحكمة وبلغة ناعمة بعيدًا من الاستفزاز وإطلاق الأحكام والتفرّد بالرأيّ.

في حديثها للحصاد تقول: «نحن في لبنان وتحديدًا في الجنوب اللبنانيّ، مذ خلقنا، كنا في قلب المعاناة، لا ينفصل الحبر كما لا ينفصل الدم الجنوبيّ عن المعاناة التي ورثنا صليبها عن أجدادنا، حملنا في جيناتنا معاني الرفض والاستعداد للتضحيات الجسام لأجل أرض حكمت جغرافيّتها وجيرتها المرّة أن تظل مطمعًا يدغدغ أحلام المستعمّر والمحتل والمنتدب..لذا تصبح المحابر الجنوبيّة وما أكثرها عبوات ناسفة حينًا ونوافذ ضوء أحيانًا، والكاتب الذي ينأى بنفسه وينجح في بتر الجنوب من جسد نصّه سيكتب نعم ولكن بحبر نصفه ماء ونصفه رمل، فلا هذا يبقى ولا ذاك يعيش..».

تؤمن فرفور بوجوب اشتباك المثقف وانخراطه في قضايا مجتمعه وأمّته، لأن أزمة الإنسان المعاصر برأيها هي أزمة البحث عن المعنى في خضم عالم ماديّ متوحّش سقطت فيه القيم الأخلاقيّة والروحيّة، لذا من واجب المثقف اليوم أن يحاول ما استطاع تقويم هذا الانحراف الحاد في المفاهيم الإنسانية البديهية».

وترى أنّه من «أوجب الواجبات أن يتصدى المرء القارئ والمفكر لسرديّة المحتل وخطاب الرأسماليّة وكذب الأقنعة الغربيّة التي صدعت رأسنا بعد الحرب العالمية الثانية بالحقوق والحريات وما كانت في الحقيقة سوى سلم لديموقراطياتها الزائفة من أجل السيطرة الأحاديّة على عالم فُطر على التعدد».

وتختُم: «قدر الأرواح المظلومة أن تتحرّر وقدر الجنوب أن يظل قربانًا للمجد وقبلة للأحرار، إنّ ترابًا جُبل بدمّ الشّهداء لن يحمل الطغاة ولَن يحتملهم».

لوركا سبيتي
إعلامية وشاعرة

■ الإعلامية والشاعرة والقاصّة اللبنانية الجنوبيّة لوركا سبيتي، لم تتوان عن إعلان موقفها الداعم للبنان في حربه مع الطغيان، وحرصت على إظهار تعاطفها وتضامنها مع المظلومين، وأمام هول المجزرة التي ارتكبها العدوّ الصهيوني في مدينة بيروت بتاريخ 8 آذار، هنا مقطع من نص نشرته على صفحتها الفيسبوكيّة:

«مشكلتي مع العدو الإسرائيليّ شخصيةٌ جداً.
كمن قُتل مرتين.
مرة بالقصف.
ومرة حين يُطلب منه أن يشرح لماذا لا يزال مقاوماً.
عدوي. يتكلم بثقة، يقتل بثقة، ويبرر له.
وأنا يُطلب مني أن أخفض صوتي، أن أُسلّم سلاحي، أن أستسلم.
عدوي. يأخذ أرضي وبيتي وحياتي،
ويُصرّ أن يُقنعني أن ما أخذه ليس لي.
يقتل. ويقتل.
والثأر سيكون شخصيّاً جداً». ■

* كاتبة وصحافية

مكة في كتابين:

كتاب لألماني مسلم وآخر لأميركي صهيوني (2- 2)

رؤوف قبيسي*

هذا المقال هو عن الكتاب الثاني المتصل بمكة وعنوانه «العودة إلى مكة». مؤلفه أميركي يهودي صهيوني الهوى واسمه دانيس آفي ليبكين. هذا الكتاب يختلف تماماً في الطرح والخلفية عن كتاب مراد هوفمان. ليبكين كاتب ومحلل سياسي إسرائيلي أمريكي، ويُعرف بمواقفه الداعمة لإسرائيل وقراءاته الجيوسياسية ذات الطابع الديني السياسي. ينطلق ليبكين من فرضية أساسية مفادها أن الشرق الأوسط يعيش تحولات عميقة تتجاوز البعد السياسي التقليدي، وأن لهذه التحولات جذوراً دينية وأيديولوجية لا يمكن فهمها فقط عبر أدوات التحليل السياسي الكلاسيكي. ويرى أن الإسلام السياسي، بمختلف تياراته، يمثل قوة صاعدة لها مشروع عالمي، وأن تجاهل هذا البعد يؤدي إلى سوء تقدير استراتيجي خطير. الكتاب لا يركّز على مكة بالمعنى الجغرافي فقط، بل يستخدم العنوان رمزياً للدلالة على مركز الثقل الروحي والسياسي في العالم الإسلامي، وعلى فكرة _العودة إلى الأصل_ كحركة تعبئة أيديولوجية عابرة للحدود.

أحد أعمدة الكتاب هو التأكيد على أن الفصل الغربي التقليدي بين الدين والسياسة لا ينطبق، برأي ليبكين، على كثير من المجتمعات الإسلامية، حيث يشكل الدين إطاراً شاملاً للحياة العامة. وفي نظره أن التحليل الذي يتجاهل هذا البعد يظل قاصراً. لا بل يذهب أبعد من ذلك، فيربط بعض التطورات السياسية بقراءات نبوئية توراتية، معتبراً أن للصراع بعداً روحياً يتجاوز الحسابات المادية. هذا المزج بين التحليل الأمني والرؤية الدينية يمنح الكتاب طابعاً خاصاً، ويجعله أقرب إلى أدبيات التيار الإنجيلي الصهيوني في الولايات المتحدة. يضع ليبكين إسرائيل في مركز تحليله، معتبراً أنها تمثل خط المواجهة الأول في صراع أوسع بين الغرب وما يسميه «الراديكالية الإسلامية». ويرى أن استقرار إسرائيل وأمنها مرتبطان مباشرةً بالسياسات الغربية في الشرق الأوسط.

كما ينتقد ما يعتبره تهاوناً، أو سوء تقدير، من قبل بعض الحكومات الغربية في التعامل مع الحركات الإسلامية، محذراً من أن ذلك قد يؤدي إلى تهديدات أمنية داخلية في أوروبا وأمريكا الشمالية. ويتناول قضية الهجرة إلى أوروبا، ويطرحها ضمن سياق أوسع يتعلق بالهوية الثقافية والأمن القومي.

ويعبّر المؤلف عن مخاوف من أن يؤدي ضعف الاندماج إلى توترات اجتماعية وسياسية طويلة المدى. هذا الطرح يعكس رؤية جدلية ومثيرة للنقاش، إذ يعتمد على قراءة تعتبر أن التحولات الديموغرافية قد تُحدث تغيرات عميقة في بنية المجتمعات الغربية. أسلوب الكتاب مباشر وتحذيري، يميل إلى الخطاب التحليلي المدعوم بأمثلة سياسية وأمنية. لا يعتمد على السرد الذاتي كما في كتاب مراد هوفمان، بل يتبنى نبرة استراتيجية تستهدف صناع القرار والجمهور المهتم بالشؤون الأمنية.

الكتاب يعكس تياراً فكرياً يرى العالم من زاوية صراع حضاري طويل الأمد، ويضع الدين في قلب التحليل الجيوسياسي. لذلك تبدو العناصر البارزة في الكتاب مزجاً بين التحليل السياسي والرؤية الدينية التوراتية. لا يكتفي بقراءة الوقائع الجيوسياسية، بل يربط بعض التطورات بما يراه تحققاً لنبوءات دينية، خاصة في ما يتعلق بمكانة إسرائيل في المنطقة، ويتماشى مع التيارات الإنجيلية الصهيونية في الولايات المتحدة التي تنظر إلى الصراع في الشرق الأوسط من منظور روحي تاريخي ممتد لا يأخذ في الاعتبار حق الفلسطينيين التاريخي والقانوني في أرضهم، لذلك تحتل إسرائيل موقعاً مركزياً في طرح ليبكين: إذ يعتبرها خط المواجهة الأول في صراع أوسع بين الغرب والحركات الإسلامية الراديكالية. ويرى أن السياسات الغربية تجاه الشرق الأوسط يجب أن تُبنى على فهم عميق لهذا البعد، محذراً من أن أي تساهل أو سوء تقدير قد يؤدي إلى نتائج استراتيجية خطيرة. في هذا السياق، يدعو إلى يقظة أمنية أكبر وإلى تبني مقاربة أكثر صرامة في التعامل مع ما يصفه بالتهديدات الأيديولوجية.

أسلوب الكتاب يغلب عليه الطابع التحذيري. لا يعتمد على السرد الذاتي أو التجربة الشخصية، بل يتوجه إلى القارئ بصفته مهتمًا بالشؤون الاستراتيجية وصنع القرار. وتبدو اللغة أحياناً مشحونة بقلق واضح من المستقبل، ما يعكس رؤية تعتبر أن العالم يقف أمام تحولات كبرى قد تعيد رسم الخريطة السياسية والثقافية. ومع ذلك، يظل الكتاب مثيراً للجدل. منتقدوه يرون أنه يتضمن تعميمات واسعة، وأنه يربط الإسلام كدين يعتنقه أكثر من مليار إنسان، بتيارات سياسية محددة، بما قد يعزز الصور النمطية أو يغفل التنوع الكبير داخل المجتمعات الإسلامية. يُؤخذ عليه أيضاً اعتماده على منظور أيديولوجي واضح قد يؤثر في حيادية التحليل.

يخصص ليبكين مساحة واسعة لتحليل صعود الحركات الإسلامية منذ سبعينيات القرن العشرين، معتبراً أن إخفاق المشاريع القومية والعلمانية في المنطقة فتح المجال أمام تيارات دينية لتملأ الفراغ السياسي والاجتماعي. ويرى أن هذه الحركات لا تعمل بمعزل عن بعضها، بل تتقاطع فكرياً وتنظيمياً ضمن شبكة أوسع تتجاوز الحدود الوطنية. ويذهب إلى أن هذا التشابك يمنحها قدرة على التأثير الدولي، سواء عبر النشاط السياسي أو عبر وسائل أكثر صدامية. يربط بين التحولات الديموغرافية والهجرة إلى أوروبا وأمريكا الشمالية وبين ما يراه تغيراً تدريجياً في موازين القوى الثقافية والسياسية. ويعبّر عن مخاوف من أن يؤدي ضعف سياسات الاندماج أو تجاهل البعد الأيديولوجي لبعض الحركات إلى تحديات أمنية داخل المجتمعات الغربية. هذا الطرح يعكس رؤية جدلية، إذ يعتمد على قراءة تعتبر أن التحولات السكانية قد تكون عاملاً استراتيجياً مؤثراً على المدى الطويل. ■

الحصاد
AL-HASAD
زوروا موقعنا على الرابط:
www.alhasad.co.uk

«ألف ليلة وليلة» يطرح قضية المعرفة

السعودية: لطيفة حسيب القاضي *

لا يخفى على متتبع السرد العربي بأنه يشتمل على نصوص تغوي بقراءتها عبر العصور، فهو بحر ثري بالدرر، فيجد الداخل فيه نفسه أمام نصوص تمارس الإغراء، فيستسلم القارئ لسحرها والدخول في عوالمها.

ولما كانت أهمية أي أثر أدبي تُقاس بمدى قدرته على الصمود أمام الزمن، وبسعة انتشاره على الصعيد العالمي، ثم بمدى تأثيره على المجتمع وعلى الآداب الأخرى، ودرجة تفاعلها معه، فكان كتاب (ألف ليلة وليلة) أو (الليالي العربية) كما وصفها الغربيون بأنها أكثر تراثنا الأدبي قيمةً وأهمية؛ فلم يشتهر ويؤثر كتاب في العالم مثلما اشتهر وأثر هذا الكتاب.

لقد تُرجم هذا الكتاب إلى أكثر لغات العالم، واستطاع أن يصمد أمام زمن طويل، فلا تبلى جدته، وظل هذا الأثر الأدبي العجيب خلال الزمن يُلهم ويعلم، ويَظفر بإعجاب نوابغ الأدباء والفنانين في الغرب والشرق، وما نزال نلمح تأثيره في بعض نتاجهم إلى يومنا هذا.

يحتوي ألف ليلة وليلة على سفر من أسفار العرب، وحتى الآن لا يحمل اسم مؤلفها؛ لأنه نقل من موطن إلى موطن ومن ثقافة إلى أخرى في شكلها السردي.

يشتمل الكتاب على محصلة للحكايات العربية في الجزيرة العربية، ومصر، والشام، وبلاد الرافدين؛ تلك الحكايات التي لم تختلف في إطارها النثري العام عن متوارثات المحكي الشفوي القديم، الذي يشكل التراث السردي العربي منذ العصر الجاهلي؛ فهو يصور لنا المجتمع العربي في القرون الوسطى. وإن ما كنا نفتقره في كتبنا التاريخية الرصينة نجده في حكايات الليالي صورًا تصور لنا العادات والتقاليد والأزياء والأسواق والمحاكم؛ يقول (فريدريك فون درلاين): «كلما توغل الإنسان في حكايات ألف ليلة وليلة ازداد إحساسًا بأنفاس الروح العربية، فالطبيعة العربية تأسرنا حينئذ إلى درجة أننا نستسلم إليها راغبين بها وحدها عن طواعية، فهي صورة واضحة للحياة العربية»

الليالي العربية موروث ثقافي عربي

تحظى قصص ألف ليلة وليلة بأهمية كبيرة؛ لكونها مجمعًا ثريًا لما ترسب في الذات العربية من موروث ثقافي عربي، وما انصهر في وجدانها من محكيات شفهية، وأخبار عن الشعوب والأفراد والأمم، وما غزاها من قيم إسلامية جعلت هذا النص يتحول إلى صرح حضاري قوامه اللغة؛ فيعمل على التأسيس الثقافي لأنماط السلوك العربي بمتانة وبجرأة، وتكمن أهمية النص الحكائي بأنه تعبير عن الثقافة السائدة في المجتمع العربي، حيث تجمع الحكايات الشعبية: بين السلطة والبطولة وبين الشجاعة ومعرفة الأسرار واكتشاف المجهول، فتحمل في طياتها معاناةً بشرية حقيقية، وأحيانًا خيالية، وعقبات تفرضها قوى سحرية متمثلة بالعفاريت والسحر الأسود، ونموذجًا فكريًا إنسانيًا شاملًا يحمل طموحًا إنسانيًا تعمل شهرزاد على إبرازه في حلية جمالية منمقة.

غواية الحكي وتلقي العجيب

جاءت الراوية الأنثى شهرزاد، إذ تعاملت مع قضايا الحب والجنس تعاملًا طبيعيًا وإنسانيًا، فكانت إبستيمولوجيا نص الليالي تطرح قضية المعرفة، وما يخبئه هذا النص من سحر وعبرة وتأثير يفتح الحكي للخيال والغرائب والعجائب، فتفتتن به القلوب والعقول؛ يتجلى ذلك من خلال ما تخفيه من رمزية المعرفة وسحرها، والتي تحول شهرزاد إلى نمط من الأنماط العتيقة المجسدة لحضورها، فتتحول شخصيات القصص إلى تجليات لها؛ لكن يبقى التساؤل المطروح: ما الذي فعلته شهرزاد؟ هل مارست سحر الحكي واقترفت فعل القص لكن حكي ماذا؟ والقص عن أي شيء؟ مما لا شك فيه أن شهرزاد صانعة المعرفة التي تقود من يقترب منها إلى قارات مجهولة من المعرفة اللامحدودة؛ نرى من صنوف البشر والحيوان ما لا عينٌ رأت، ولا أُذُنٌ سمعت، ونشهد من المغزى ما يستحق أن يكتب على آماق البصر؛ ليكون عبرة لمن اعتبر ومن لا يعتبر؛ فينتقل بالقارئ من حالة اللامعرفة إلى المعرفة من الوعي التجريبي إلى الوعي الواعد، ومن خشونة الحس إلى رهافة الشعور وشفافية النزعات؛ كما ينقلنا إلى أمكنة وشخوص ووقائع في عالم مليء بالحكايات والحوادث العجيبة، والقصص الممتعة والمغامرات الغريبة، والحكايات الخرافية والشعبية، وأخرى على لسان الحيوان، وحكايات عن أسفار البحار، ووقائع متشابكة وشخوص آدمية، وأخرى من عالم الجن والعفاريت؛ تعود النفس منها مفتونةً بجمال الحكي وغوايته، الأمر الذي يجعل النص السردي يعتمد على تراث زاخر بالمعلومات العابقة بالعذوبة والتخييل.

استطاعت شهرزاد بفطنتها أن تصنع لنفسها حضورًا باهرًا في وسط مجتمع ذكوري لا يعترف بعبقرية الأنثى وقدرتها على الإبداع؛ فبهرت الملك شهريار المتلقي عن طريق دهشة الحكي، فجعلته أسيرًا للحكي، مسحورًا بقصصه وطرائفه، واستطاعت أن تنقله إلى عالم واقعي وعجائبي وغرائبي تزداد معه متعةُ الحكي.

خلال الليالي استطاعت شهرزاد العودة للماضي لإثبات الذات العربية وَفْقًا لمقومات الأمة، وهو الدليل على نشاط الفكر وحركة الإبداع الإنساني.

لقد كانت القصص بمنزلة الأداء التمثيلي الذي نشّطَ الحسَّ الجمالي في شهريار، مما جعل نص الليالي نصًا تراثيًا ملهمًا بما يحمله من منفعة وفنتازيا ودهشة خارقة، وإمكانيات واقعية، ورمزية للكائن والممكن ضمن دائرة الاحتمالات السردية؛ هنا وظفت شهرزاد الحكي كإستراتيجية لمواجهة القتل، وهذا البعد الخطابي للحكي هو ما أسميه ما وراء الحكاية، فقالت له: "هذا مما أحدثكم به الليلة المقبلة إن عشت وأبقاني الملك. فقال الملك في نفسه: والله لا أقتلها حتى أسمع بقية حديثها؛ لأنه حديث عجيب.. "إذن يمتلك المسرود والحكي القدرة على الحياة؛ لذلك تتساوى سلطة القص مع سلطة الحياة؛ لأنها تنشأ عن وعيٍ فردي وجمعي، وتنقل عبر كل ما يمكنه أن يكونَ صورةً للحياة الحقيقية للإنسان، بكل ما تحمله من رسائل وأخبار؛ لتكون مادةً أولية لتفاعل الراوي والمتلقي، وفي حالة تواصل أسوةً بنمط الحياة الواقعية وتقنية الحكي، التي صنعت التحول، وجذبت شهريار من خلال أفق الانتظار، وعملت على تكريس المعايير الجمالية؛ فإن المتلقي لغواية الحكي لا يمكنه أن يتملصَ من الحكي وسحره، فتجده يتفاعلُ مع الحكايات وشخوصها، فتمتلكه الحيرة والدهشة أمام عوالم الحكايات.

هنا نجد شهرزاد استبدلت فعل القتل الذي يقوم به شهريار بفعل السرد الذي تقوم به شهرزاد، فنجحت شهرزاد في تعديل سلوك الملك، وتصحيح موقفه من فعل الخيانة التي تعرض لها.

من الجلي بأنَّ دور شهرزاد في الحكي لا يختلف عن دور الطبيب النفسي الذي يعالج المرضى من العقد النفسية.

ألف ليلة وليلة وأثره البالغ في الاستشراق:

دخلت ألف ليلة وليلة بلاد الغرب في أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر على يد المستشرق الفرنسي (أنطوان جالان). اعتبر الغربيون الكتاب إنجازًا أدبيًا ضخمًا باهرًا ومحيرًا، فترجمه (إدور وليم لين (1838 ـ 1840 ثم (جون باين) وأخيرًا في عام 1885 ترجمه (تشربرتن)، ومن اليابان ترجم في القرن التاسع عشر مرتين، ثم ترجم إلى الإسبانية والألمانية والبرتغالية والرومانية والدنماركية، واليونانية والروسية، وغيرها.

تأثر السرد القصصي الفرنسي كثيرًا بحكايات ألف ليلية وليلة، وتضاعف إقبالُ الكتاب والأدباء وعامة الناس عليه، فسهروا الليالي متتبعين أحداثه وطرائفه، ونلحظ أن القارئ الفرنسي وجد متنفساً جديدًا جعله يسبح في عوالم ساحرة، بل امتد سحرها إلى أكبر الكتاب والأدباء الذين عبّروا عن تأثرهم بجمالية الحكي الشهرزادي، وظهر ذلك في أعمالهم الروائية والشعرية والمسرحية والموسيقية. إذ جاء الكاتب الكولومبي (جارسيا ماركيز)؛ ليؤكد في مذكراته التي نشرت بعنوان (عشت لأروي) يقول: "كتاب ألف ليلة وليلة وقراءته التي صنعت مني أديبًا" وهذا يدل على الدهشة الجمالية التي أحدثتها هذه الحكايات.

بدأ فولتير كتابةَ القصص متأثرًا بألف ليلة وليلة، وظل يستوحي من حكاياتها والصور الرائعة، والمضامين الإنسانية؛ وقد اقتبس منها الإنجليزي شكسبير مسرحيته العبرة بالنهاية، والكاتب الألماني إفرايم ليسينغ في مسرحيته نافان الحكيم، وأيضا الأيام العشرة للإيطالي بويكاشيو، وقصيدة ويلز ويرث، وقصيدة ألفريد تين سون، استوحى أسرارها الساحرة من قراءته لألف ليلة وليلة.

ولسنا نبالغ إذا قلنا إنَّ هذا الكتاب التراث العالمي القديم كان الحافزَ الأهمَّ لعناية الغرب بالشرق عنايةً تتعدى النواحي الاستعمارية والتجارية والسياسية؛ بل لسنا نبالغ إذا أرجعنا كثيرًا من حركة الاستشراق وانتشارها إلى ما ترك هذا الأثر في نفوس الغربيين.

إن النص السردي في ألف ليلة وليلة يمتلك إبداعًا وتفردًا على مستوى الشكل والمضمون، فيبتكر النص نهجًا بديعًا في التعامل مع المختلق الخيالي واللامعقول، وبذلك يمنحه المصداقية مواهمة لا مصداقية حقيقية.

يعدّ الكتاب مهدًا لما بعده من النصوص السردية، إذ كانت هي قصة القصص في التراث الشعبي العربي جمع حكايات الصراع بين الخير والشر، الحب والكراهية، الكرم والبخل، وغيرها من المشاعر الإنسانية الجميلة والذميمة، ومن أهمها قصص عن الحب الذي يمثل قضية القضايا وموضوعها الأثير في هذه الليالي العربية، التي ملأت الدنيا وشغلت الناس قرونًا متطاولة عربيًا وعالميًا.

وفي هذا الإطار نجد هنا الحب بعلاقاته الاجتماعية والدينية محور الليالي، التي تكشف عن أهم أنماط العلاقات العاطفية بين الجنسين في جراءة متناهية، وبساطة متناهية كذلك، بلغة تستند في صياغتها الشعبية إلى قاعدة دينية، حيث لا تجد في اللفظ الجنسي الصريح حرمة، وتستند في مضامينها إلى واقع عربي قاهر.

ديوان المرأة العربية المقهورة

لا غرو في أن تكون الليالي ديوان المرأة العربية المقهورة عبر العصور في مجتمع بطريركي، حيث كانت المرأة طرفًا حاضرًا فيها. لقد حارب المرأة حربًا ضروسًا لا هوادة فيها ولا رفق، فظلت المرأة قرونًا عديدة تنوء تحت عبء ما حمّلها هذا الكتابُ من آثامٍ وجرائم؛ فمن سوء حظ المرأة أن الكتاب شائق الأسلوب، فكان يجذب العامة ببساطته وصراحته، وبما فيه من غرائب وعجائب؛ فكانت حكاياته تواكب الطفل منذ تفتحه حتى شيخوخته، كانت تقصها عليه أمه أو جدته قبَل أن ينام، وهي تدرك ما ترسم في ذهنه من صور بشعة لبنات جنسها، فإذا كبر الطفل قليلًا سمع هذه الحكايات تتداولها السوامر في السهرات، فإذا خرج إلى المقاهي سمع القصاصين (الحكواتية) يقصونها على جماهيرهم، وقلما تخلو حكاية من حكاياتها من الطعن بالمرأة، فترسخ في ذهن الطفل من وراء الشعور صورة مخيفة للمرأة.

غير أن العلم الصحيح وحده حرر المرأة مما وصمها به مؤلفو الليالي؛ فحين تثقف الرجل ثقافة واعية أدرك أن المجتمع لا ينهض إلا بتثقيف المرأة، فراح المصلحون يكافحون ليزيلوا من الأذهان ما علق عنها طوالَ قرونٍ عديدة من أضاليل وأكاذيب بحقّ المرأة لا يقرها خُلُقٌ ولا دين. ■

*أديبة، شاعرة وقاصّة

أربعون على غياب يوسف الخال

لا يزال حياً في قصيدة النثر ودوامها

بيروت ـ عبيدو باشا*

إنه المفوض الأقوى في فصيدة النثر. لا خلاف على ذلك. ذلك أن يوسف الخال، إذ اتهم بتغريب الذات منذ اطلاقه قصيدة النثر من خلال مجلة شعر، قام بما أراد القيام به بالخروج من القيود العريضة في القصيدة العربية على أسس عالمية. أسس بقيت محسوبة على العالم ذي الأسس المادية المتينة . قام، على الرغم من مواجهته حملات اتهام بالعمل على المساهمة في سيطرة الغرب على طبقات المثقفين. اتهمه بعضهم بالعمل في مصلحة السي أي إيه. أو المخابرات المركزية الأميركية . اتهامات من خلال دور المال في تقويض بعض ما هو ثابت في الثقافة العربية. قدم الرجل طريقته الخاصة، من دون أن يسمح بتهديد هذا الإنبعاث المتلالئ لقصيدة نشرت نموها في تراكمات لا تزال تمتلك حقوق ملكيتها .

لم يضبط الخال في علاقة مباشرة بمن اتهم بالعلاقة بهم. كما غادر إلى وادي النوم من دون أن ينتهي من ترجمة الإنجيل بروافعه اللغوية الخاصة. ندر الرجل ترجمة الإنجيل إذا ما تغلب من مرضه العضال. لم ينجُ ولم تنجو الترجمة بكمالها وتمامها .

مبتكر الاعيب، كما وجده بعضهم، سوى في ترجمة الإنجيل ، هو المحب لتي أس اليوت. مصادره موزعة ، غير أن ترجمة الكتاب المقدس بقيت في عمليات الإنتاج الشخصية كفعل واقعي لا شهواني . مضى الرجل إلى نومه منذ أربعين عاماً . إنه الآن في المئة وعشرة أعوام من العمر لو قيض له أن يحيا من دون غياب. لا يزال الرجل حياً بحقوق ملكيته الفكرية لقصيدة لا تزال موجودة

يوسف الخال... اربعون عاماً على الغياب

على طاولات الكثير من الشعراء اللبنانيين والعرب .

هذا رجل منظر، رجل فاعل آمن بتوليد الحياة من خلال الإحراز. لم يتشظ وهو بندفع في اليات الكامنة فب مفهوم ملازمة التحديثات الرأسمالية . حر على الدوام في تنمية شخصيته وشخصيات الآخرين، من رافقوه في مرحلة حبلى بكل صنوف المتع الثقافية كأدونيس ومحمد الماغوط وعصام محفوظ وفؤاد رفقة . وغيرهم .

يعود الأمر إلى الجالب العظيم للديمقراطية الشعرية، شخص الاقتصاد السياسي لعلاقات السلطات المهيمنة رجل لا ينصاع إلا لقدره، إلا لنفسه المنظمة. رجل لا يقهر. رحل لا ينصاع للقهر، بغليون لم يحقق الخرافات قدر ما حققها مستعمله .

انتصر الرجل على أيامه، أيام ولادة احتكار الإعلام والتعليم والتربية. أيام ممارسة الضغوط الخفية من السلطة ، بهدف إعادة انتاج دورية وجودها في احياء الناس وحيواتهم . تلك مرحلة عزل العقل عن العمل. الخلاصة عنده خلاصة التنافس، ما يقود إلى الإنتصار إلى التربية لا التعليم . ذلك أنه، ضد تجهيل المجتمعات وضد تخصيص المجتمعات بالواحدات الواحدات، كآلة واحدة في ورشة واحدة. آلة مرحلة . مرحلة تطبع حياة شعب. لم يقفز الرجل من ضفة إلى ضفة، لأنه أممي. لم يحذف مهمات النضال، وهو يبتعد من التلون، يبتعد من العنصرية. هذه ليست من خواصه.

لم يجاهر بقيمه وهو يقاوم الإرث القديم ، حيث التسلط الشبحي والبلاد المنخورة بالعمل اليدوي لا العقلي، جراء ذلك. خواجة بجعل الخوجنة ساحة انتهاء سريع . رجلٌ ضد كل نازل ضخم ، من الماضي ، بشيء من متاعب الماضي واقتراحات تأزم الحاضر. أولويات حكم الحركة ، عنده، تطوير البنى. هكذا قفز الرجل الوسيم، فوق كل عقد النقص إلى الكتابة في صلب الثقافة الجديدة. كتابة الصلب بعيداً من اضطرابات الديمومة. لا تسويات. القضية الإجتماعية محسومة. لن تمر تسويغات القضايا الثقافية. تبديل الذهنية الناتجة عن أي ارتهان أولاً. ثم، تحقيق متطلبات الإجتماع الإنساني، كشرط من شروط الكائن البشري. عربة قطار، منظومة يوسف الخال. مقطورات متلاصقة، متلاحمة. منظومة من المشاعر والأفكار والطموحات والأحاسيس والمعتقدات .صناعة الظرف الجديد، من مواد الظروف القديمة القائمة على قوة المصالح الغريزية.

هذه معجزته ، معجزة رجل شجاع لم يهب الإتهام ولا الإلتهام. اللغة مقدم قرانه من قصيدة أوقعها في تحكمه المباشر. توحيد الجهود، بقراءة تتابع العصور،في الطريق إلى مؤلف العصر الجديد. عنده القصائد السالفة صنانير لا تلمع سوى في عقول عموم من لم يصدقوا انقراض الاشكال القديمة للإنتاج. عنده، القصيدة فن مفهومي. عنده الإستجابة للعمارات القديمة، لا بالإستجابة إلى تقنياتها . بتوليد القصيدة الجديدة، قصيدة لا علاقة لها باليات نظام المراقبة المقفل. لا علاقة لها بالنظم، بالمديح أو الهجاء. أو التشبيب في فوضى العلاقات الإجتماعية. قصيدة ذات قيمة جديدة. قصيدة في مصلحة التحول الخرافي . خرافي ، لأن أحداً من الجماعات والتثلل الأزهرية والفاتيكانية، بالمعنى الثقافي ، لم يحسب أن القصيدة القديمة سوف تموت في نحوها النمطي، نحو لم يعد يغري سوى عمال أشكال التضامن عليها. أشكال عبثية تجعل الشاعر والشاعرة مجرد جزء فقط من جسده ، محرد جزء فقط من جسدها.

هذه مرحلة انتهت، تبددت في انواع مختلفة من التبادلات السوقية الجديدة بالمعنى الإيجابي. لا عز بعد فاقة . عز

يجلب إلى الساحة كل ما ليس مطلقاً.لا علاقة للأمر بانتصار أخلاق على أخلاق . ولا ذكاء مرتبة على مرتبة. ثمة قوة فكرية جديدة، جديرة، لا تقدم الشاعر والشاعرة كتابع أو تابعة في استجابتهما الى التوسع البنيوي على نحو غير مسبوق. الشعر ديوان العرب بيد أن الديوان ديوان لا حقوق مشاعرية بنيت عليها فكرة أفعال الطبقة العامة في الشعر. يمتلك العمال الآلة. لا تمتلكهم الآلة.

لا زي مختلف. ثمة روح مختلفة تقود إلى قوة عمل لا علاقة لهز بمفاهيم الصيد. استراتيجيا تنفي كل أنواع الشروط. قصيدة لا تراوح بين مزدوجيها . لا نظرة غالبة على القصيدة مع يوسف الخال. أربعون عاماً على غيابه ولا يزال حاضراً كالابرز في الاشتغال على التفرد ، على بث وعي مضاد، مخالف لأحوال الإرتهان والقبول بالأقدار.

جلب الرجل دورة جديدة من الشعر، افضت إلى آفاق جديدة، صنعت القرارات الخاصة في قطاع جديد تماماً دورة القصيدة المضادة للأشكال المبكرة للشعر. قوة مضاعفة هي السمة البارزة في عمليات التبادل الزمني من دون أن ينكر تكوينات القصائد القديمة. أثاره تراكمها المفرط هكذا، ذهب إلى القصيدة ذات الديناميات الجديدة لا ذات الأحجام المتوسعة. رأسمال حقيقي لا رأسمال وهمي، استخدام عملي في الإنتاجية في يد عاملة جديدة. لكن اقتراح الرجل المثقف، الشاعر أولاً، المبتكر، وجد إلى حد كبير في أنواع الغرب المختلفة إذ قاسها باسبابها على وجه الدقة بحيث وجد في صعودها لا نقل المعرفة والأصول، بل الظاهرة الطالعة من طبيعة لا تؤمن بالأشكال والأرواح الغريزية وحدها . كل عربي شاعر . يقع الشعر في ديوان العرب . هكذا دخل الخال في هذه القصيدة ذي النزوع الجدي إلى التعامل مع ما هو نمطي لكي يدخلها في سهول الشعر الجديدة في عالم يغص بالشعر .

الشاعر، الصحفي، المنظِّر المترجم، الخارج على الآحادية، خاض معاركه الثقافية على حساب حياته الخاصة . واقعية القصيدة الجديدة لا واقعية الوجود على

يوسف الخال مع رفاق مجلة شعر

دفاتر الأيام

الرغم من أنه تزوج مرتين . الأولى من زوجة لا تعرف كزوجته في الوسط الثقافي، هلن الخال، على ما يروى . بعد سفره الى الولايات المتحدة حتى يعمل في الأمانة العامة للأمم المتحدة / دائرة الصحافة بالعام 1948. ثم، مها بيرقدار الخال، تبعاً للسعي المحموم خلف الأزمنة، القدر ، الأساطير.

هبوط في عالم الإحساس بالأمان. صعود وراء المجهول وهبوط في العائلة لأجل أفكار الصباح قبل الذهاب إلى العمل. ولدان لامعان . يوسف جينيور. وورد. ممثلان لا عرافان. ولدان لم يخضعا لاتفاقات الأراضي. كأن يوسف الخال وجد العائلة فكرة نقيضاً لفكرة التقدم على الرغم من ضرورة الدخول في علم الطبيعة. لا يزال الإبن والإبنة، لا يميلان إلى طمس العائلة . إنهما عائليان، حد التحرك الدائم لتكريم الوالد بالمعنى البعيد من المعنى اليومي المتكرر. اصدارات جديدة، منشورات خاصة، مقالات، قراءات شعرية.

ربح الرجل الإتجاه في الشعر، ما يمدحه عليه شعراء، ما يعيبه عليه شعراء، ولم يربح الإتجاه العائلي. مجتمع عادي في المجتمع ومجتمع مختلف في الشعر. لا يزال الرجل في القبول والرفض حتى اليوم.

مائة وعشرة أعوام على ولادته، أربعون على غيابه. لا يزال حاضراً في الخيال. لا يزال موجوداً في الواقع كلما ألف أحدهم قصيدة نثر، توصف بالطبيعة، طبيعة لا مفر منها . وتتهم بالوهم والتهافت. لكنها، موجودة وجود من ساهم في وجودها في عالم حمله الى التعطش إلى شعر آخر . يوسف الخال ، إشكالي الوجود ، لا يحبه النقاد ولا الشعراء المحافظون . إلا أنه رجل التصور الصعب . رجل «شعر». رجل الشعر (له دواوين الحرية في شعر بالتفسيرات المختلفة . قصيدة تؤثر إلى حد كبير في أشكال الإنتاج ، بعيداً من الإتجاهات العامة . تنوع داخل جماعات متجانسة على معنى موضوعي باعتراف من يشطبون هذه القصيدة ومن لا يستطيعون شطبها على الرغم من ادراكاتهم الإنسانية بأنها في منظورها عن مكوناتهم .

خاصم يوسف الخال عالماً كاملاً، حين كتب ما لم يحلم به أحد. لا ترف في أكناف ، تميمة من تمائم، إثراء بعلم ومن دون علم. قصيدة بعيدة من الأطباء والمصحات، قطعة من فضاء لا قدم أرنب يسابق سلحفاة. قصيدة لا ترتعد كعصفور في يد صياد العصور القديمة. ذلك أنها كقمر في عيون العجائز، لفحة هواء لا تذرف نفسها مثل بكاء.

إنها تقول بجدية لا وجود للموت في الشعر حتى بوجود دوريات الأشباح . كأنها هو مجنون بأحوال بحراس الليل وشرطة النهار الشعرية. ارادت أن تتكلم ، أن تقول شيئاً. وهي حين تكلمت قالت أشياء وأشياء. ارتمت على سرير الوقت، ولمَّا فعلت غمرتها سعادة حلوة، خشنة، لا هادئة، في عصر الذهاب والإياب في الوقت نفسه .حكاية الحسناء النائمة تتجدد. ■

*كاتب ومسرحي

ظاهرة التشفّي والشماتة والـ«أضحكني»:

لماذا تسخر نساء من اغتصاب نساء أخريات؟

سوريا ـ فاطما خضر*

في وقت نفت فيه الحكومة الانتقاليَّة في سوريا وجود استهداف ممنهج لخطف النساء العَلويَّات، مؤكِّدة أنَّه لم تثبت سوى حالة خطف واحدة. وبثَّق تحقيق عن مختطفات عَلويَّات أجرته صحيفة نيويورك تايمز (3 أبريل 2026)، ثلاث عشرة حالة خطف لنساء وقاصرات عَلويَّات، إلى جانب رجل وفتى. وأفادت فيه خمس من الضحايا بتعرُّضهنَّ لاعتداءات جنسيَّة. ونتج عن حالات الاغتصاب تلك حالتا حمل، إحداهما لفتاة قاصر تبلغ ستَّة عشر عامًا.

خَلُص التحقيق إلى أنَّ عمليات الخطف أكثر انتشارًا ممَّا أعلنت عنه السلطات، وغالبًا ما تتَّسم بدرجات عالية من العنف. بينما نعرف خير معرفة أنَّ العدد يفوق بأضعاف ذاك الوارد في التحقيق، وأنَّ التوثيق سيبقى محدودًا حتَّى وإن أُجريت تحقيقات مشابهة، بسبب خوف الضحايا وعائلاتهم من التحدُّث.

وفي هذا الاستطلاع لا نهدف إلى تسليط الضوء على تحقيق نيويورك تايمز، على أهميَّته. ولا على ظاهرة خطف العَلويَّات ببرود، على وحشيَّتها. ولا حتَّى على النكران الرسمي للسلطة الانتقاليَّة، على شناعته. وإنَّما على ظاهرة تجتاح السوشال ميديا: ظاهرة التشفِّي والشماتة والـ«أضحكني».

وعلى الرغم من أنَّ ظاهرة الـ«أضحكني» تحديدًا، تكاثرت كالسرطان بفعل البروفايلات الوهميَّة الموجَّهة المعروفة بـ«الذباب الإلكتروني»، فإنَّنا نتحدَّث هُنا عن بروفايلات حقيقيَّة، وتحديدًا تلك العائدة لنساء. فما أن تناقلت صفحات الفايسبوك التقرير الآنف الذكر، حتَّى انهالت مئات التفاعلات بـ«أضحكني»، ومئات التعليقات المليئة بالشماتة والتشفِّي. ومن الطبيعي طرح تساؤلات، تحديدًا حول البروفايلات الحقيقيَّة العائدة لنساء:

ما الذي يدفع أنثى إلى أن تسخر وتُهين لفظيًّا مَن تعرَّضت للخطف والاغتصاب والتعنيف الجسدي؟ هل يكفي أن تنتمي مراهقة (ابنة الستَّة عشر عامًا) أو أيَّة امرأة إلى طائفة معيَّنة حتَّى تقع عليها أحكام مُسبَقة فيُعاد بذلك اغتصابها نفسيًّا؟ أم يجب التعاطف مع تلك النماذج، كونهنَّ ضحايا تربية بيئات متطرِّفة ووحشيَّة تستبيح الآخر المختلف؟ وإن برَّرنا للنسوة الجاهلات ضحايا البيئات السلفيَّة، فما الذي يدفع بامرأة تدَّعي الثقافة والانتماء إلى الثورة وشعارات الحريَّة للتشفِّي من فتيات قاصرات أو حتَّى نساء بالغات لا ذنب لهنَّ سوى انتمائهنَّ لطائفة بعينها؟ وكيف يمكن للمرأة أن تكون عدوَّة المرأة في مجتمع ذكوري هو أساسًا يختزلها ويُشيِّئها؟

هنادي زرقه
شاعرة وكاتبة

■ يشكل طرح هذه الأسئلة إهانة كبيرة بحقِّ النساء. اعتقدت، لزمن طويل أنَّه يجب على النساء أن يساندن بعضهنَّ الآخر، بيد أنَّ ما شهدته سوريا من عنف منذ 2011 ولغاية اليوم، يضعنا أمام تساؤل كبير: إلى أيِّ مدى انحدرت القيم الإنسانيَّة في مجتمعنا؟ وهُنا لا أتحدَّث عن النسويَّة، بل عن التعاطف الإنساني.

أظن أنَّ السخرية التي ترتكبها بعض النساء هي نوع من الشماتة. الشماتة بإذلال الجماعة الطائفيَّة التي تنتمي إليها الضحيَّة، وكأنَّ انتماءها إلى طائفة أخرى يجعل التعرُّض لها أمرًا مثيرًا للسخرية والشماتة، ليس إذلال طائفة الضحيَّة وحسب، بل تشويه سمعة جماعة بشريَّة بأكملها.

كما أعزوها إلى خوف مبطَّن عند الساخرات. خوف أن يصيبها الخطف والاغتصاب، فتحاول أن تتهكَّم وكأنَّها بذلك تبعد شبح الخطف عنها. بمعنى ما، هي آليات دفاع نفسي: «هذا لن يحدث لي». كما أنَّ بعض النساء ذكوريَّات بطبعهنَّ، ولا يجدن غضاضة في إذلال امرأة أخرى، ولا يقتنعن بأنَّ الخطف والاغتصاب هو فعل عنفي، بل يسارعن إلى لوم الضحيَّة (ليست محتشمة، خرجت من بيئة معتادة على مثل هذه التصرفات. إلخ).

الأخطر من ذلك، كما يبدو لي، أنَّ بعض النساء السوريَّات قد اعتدن التطبيع مع العنف السائد، ويعتقدن أنَّ الوقوف مع الجاني القوي يجعلهنَّ في منأى عن الخطف والاغتصاب.

في النهاية، أظنُّ أنَّ جميع هذه الأسباب تندرج تحت فكرة الاضطراب النفسي. لكن بعض النساء، وأخصُّ العاملات في حقل الكتابة، موقفهنَّ من الخطف والاغتصاب موقف انتهازيٌّ لن يلبث أن ينعكس سلبًا على حياتهنَّ.

سوزان علي
شاعرة ومخرجة مسرحيَّة

■ تكشف الشماتة، التي لم تتوقَّف عند الاغتصاب وما تعرَّضت له النساء العَلويَّات منذ بداية السقوط حتَّى اليوم، عن ديناميَّة «نزع الإنسانيَّة» عندما تُختزل الضحيَّة إلى شيء أو محض انتماء خطِّي هُوياتي أو طائفي.

أتخيَّل أحيانًا النساء المختطفات المغتصبات، سواء العائدات منهنَّ أو مجهولات المصير، محض بطاقات بلاستيكيَّة تعرض: أسمائهنَّ، قراهنَّ، عمرهنَّ. بينما يتناسى الحكم الأخلاقي هذه البطاقة لصالح سرديَّة جماعيَّة بدائيَّة عشوائيَّة، تمثِّل حرفيًّا زبدة القتل والذبح والفقر والجوع والحرب في بلد منهك مثل سوريا.

المرأة التي يعوَّل عليها في قيادة البلاد الميِّتة وإعمارها (ما حدث في بلدان عديدة، نهضت بعد الحرب على يد نساء، كالنساء الألمانيَّات) تنقلب إلى أداة لإعادة إنتاج القسوة. والشماتة هنا لا تُمارس من مبدأ القوَّة كما نظنُّ، بل من صلب هشاشة وجوديَّة عميقة قائمة على الخوف من الاعتراف بأنَّ أجسادنا كنسوة واحدة، في ألمها وحزنها وفرحها؛ وبأنَّ الحدود التي ترسمها الشماتة بيني كضحيَّة وبينهنَّ أرقٌّ مما نتصور. إنَّهنَّ حرفيًّا عاجزات عن احتمال حقيقة أنَّ: الألم حين يقع لا يختار هويَّة له.

وأتعاطف بالطبع مع الشامتات «كتعاطفي مع المغتصبات» لأنَّ المرأة هُنا تستبطن دونيَّة مخيفة، تدفعها لاضطهاد ذاتها، والتصفيق للجلَّاد، ومساعدته في إكمال مهمَّته في قمعها. الشامتات، كالمغتصبات، يحتجن إلى تأهيل نفسي مع مختصِّين، كي لا تصبح الشماتة إرثَ الشامة لطفلتها.

تقول توني موريسون: «أصعب الأعداء أولئك الذين يشبهوننا». وللأسف، تفوَّقت كثير من النساء المثقَّفات «القدوة»، ممَّن ادَّعين الثورة والحريَّة والعدالة، بانتمائهنَّ القبلي الطائفي، معتبرات الضحيَّة رمزًا للعدوِّ

وليست إنسانًا مُنتهكًا. ما يؤكِّد أنَّ المرأة التي تربَّت في بيئات متطرِّفة تستبيح الآخر المختلف، لم تنجُ على الرغم من كلِّ ثقافتها من استبطان دونيَّتها الخاصَّة.

منى مهدية فريج
ناشطة في حقوق الإنسان

■ مؤلمة هي الشماتة والسخرية من جريمة كاغتصاب امرأة أو خطفها، كما هو مؤلم تبرير قتل أو خطف أيِّ إنسان. الأكثر صدمة من فعل الخطف أو الاغتصاب بذاته، هو محاولات تبريره من أشخاص يُفترض أنَّهم ناضلوا يومًا من أجل الحريَّة والكرامة.

لا مبرِّر للشماتة أو السخرية أو التفاعل بـ «أضحكني» مع منشور يوثِّق انتهاكًا أو يروي معاناة ضحايا. وليس الجهل بعذر لذلك، لأنَّ المسألة هُنا ليست نقص معرفة بل غياب القيم. فحين يصبح الألم مادَّة للسخرية، فهذا يعني أنَّ العنف لم يعد يُدان، بل يُعاد إنتاجه بشكل جديد أخطر مبرَّر ومقبول اجتماعيًا. والأكثر إيلامًا هو تبرير البعض لما يحدث بأنَّه نتيجة طبيعية لظلم سابق من الطائفة العَلويَّة، وكأنَّ هذا التبرير يمنح شرعيَّة لاستباحة طائفة بأكملها وتحميلها ذنبًا جماعيًا. منطقٌ يكرِّس دورة عنف لا تنتهي، تتبدَّل فيها الأدوار بين الضحيَّة والجلَّاد.

وما يزيد من قسوة المشهد، هو تبرير بعض النساء اللَّواتي عملن لسنوات في مناهضة العنف، تبريرٌ لا يمكن فهمه إلَّا كتنازل عن قيم دافعن عنها يومًا. وهذا كلُّه لا يعيد إنتاج الظلم فحسب، بل يعيد إنتاجه بوجه طائفة جديدة، ويفتح الباب لإغلاق ملفِّ العدالة بشكل كامل.

رهام عيسى
كاتبة وقاصَّة

■ لم تعد مظاهر الشماتة التي تكتسح العالم الافتراضي اليوم، على قسوتها، حدثًا مفاجئًا. بل يمكن قراءتها كامتداد لسنوات من الصراع والعنف والانقسام، التي لم تترك أثرها على البنية السياسيَّة والاجتماعيَّة فحسب، بل أعادت تشكيل الحسِّ الأخلاقي ذاته لدى كثيرين، بما في ذلك القدرة على التعاطف. فحتَّى في التعامل مع القضايا التي تبدو إنسانيَّة بحتة «كالتعامل مع ضحايا العنف أو الاغتصاب مثلًا» نجد هذه الخلفيات تظهر بوضوح لدى أفراد لم يكونوا فاعلين حتَّى في مجريات الصراع، لكنَّهم تبنَّوا سرديَّات تستند لأساس طائفي وتفترض أنَّ الآخر عدوٌّ.

○ يعاد بهذه الطريقة تعريف الضحيَّة لا كإنسان، بل كامتداد لهويَّة جماعيَّة أو دينيَّة مُعادية، ما يجعل الألم نفسه مادَّة للتشفِّي، لا سببًا للتعاطف.

○ أمَّا تخصيص السؤال للنساء، انطلاقًا من مفارقة «كيف تسخر امرأة من معاناة امرأة أخرى»، فهو يفترض ضمنيًّا صورة نمطيَّة عن النساء بوصفهنَّ مصدرًا فطريًّا للحنان أو التعاطف. وهذه فرضيَّة إشكاليَّة بذاتها. فالنساء لسن خارج تأثير السياقات السياسيَّة والاجتماعيَّة، ولا يتمتَّعن بحصانة أخلاقيَّة تلقائيَّة. وإظهار الشماتة أو التعنيف ليس نفيًا لأنوثة مُفترضة، بل هو ببساطة تعبير عن اندماج في بيئة مشحونة بالكراهية والاستقطاب. وإذا رأينا أنماطًا أعلى من التعاطف عند بعض النساء، فهي نتاج تربية وتجارب وسياقات محدَّدة، لا خاصيَّة جوهريَّة ثابتة.

حلا عليّ
كاتبة ومترجمة

■ على الرغم من أنَّ متلازمة ملكات النحل هو اصطلاح اعتمدته جامعة ميتشيغان عام 1973، لوصف فوقيَّة واضطهاد النساء الناجحات أو القياديَّات تجاه مرؤوساتهنَّ من النساء الأقل حظوة أو الأصغر سنًّا، لا سيَّما في المجتمعات الذكوريَّة؛ إلَّا أنَّ الاصطلاح ينسحب على جميع حالات اضطهاد المرأة لغيرها من النساء، أو تنمُّرها عليهنَّ تماهيًا مع الخطاب الذكوري السائد، وخصوصًا في مجتمعات ما بعد الحرب، حيث تصبح النساء الحلقة الأضعف في سلسلة الاستبداد.

وفي حالة اختطاف العَلويَّات، تنبري النساء الأفضل حالًا، أو المنتميات إلى مجتمعات أو طوائف تعتقد أنَّها في مأمن من الاختطاف أو استباحة الجسد، للتماهي مع موقف السلطة المتطرِّفة الذكوريَّة الاستبداديَّة، كي تكون في كفَّة الأقوى، معتقدة بذلك أنَّها تحقِّق الاعتراف بقوَّتها من خلاله.

وسام الخطيب
قاصَّة

■ لفهم ظاهرة التشفِّي والسخرية عند بعض النساء (على اختلاف طبقاتهنَّ الاجتماعيَّة) من اغتصاب العَلويَّات، علينا الرجوع إلى البُنى الاجتماعيَّة والفكريَّة لمجتمعاتنا القائمة على لوم المرأة، وإلصاق العار بها في حال تعرُّضها للعنف بمختلف أشكاله. فهي المُدنبة دومًا، حتَّى عندما تتعرَّض للتحرُّش والاغتصاب والاعتداء الجسدي؛ مع أنَّ العار «بديهيًا» على من يفعله. ومن هُنا تُستخدَم هذه البُنى كغطاء لانتهاكات شنيعة أكبر في حقِّ العَلويَّات: كالخطف والإغتصاب على أساس ديني طائفي، وطمس الحقائق، وإسكات أصوات العَلويَّات، ومنعهنَّ من التعبير عن تجاربهنَّ المروِّعة.

ومن جانب آخر، مثلما هناك عنفٌ على أرض الواقع ضدَّ النساء، هناك طبقات من العنف الإلكتروني ضدهنَّ. ويعتبر «جهاد الضحك» الظاهرة الفاقعة حاليًّا كمثال على هذا العنف الإلكتروني. لكن ما زلنا نفتقد إلى التوعية بهذا الشأن، وإلى تسمية الأمور بمسمَّياتها، ووصفها، وتفنيدها، ومن ثمَّ إيجاد الحلول القائمة على الوعي والمراجعة الذاتيَّة، عند مَن تُمارسن هذا العنف ضدَّ غيرهنَّ من النساء. كما نفتقد إلى القوانين الرادعة التي تحدُّ من انتشار ظاهرة الشماتة، وتقوِّضها.

وبرأيي، تعود دوافع بعض النساء للمشاركة في هذا السلوك، إلى كونهنَّ مُشبَعات بهذا الخطاب الأبويِّ، ومتبنِّيات له، بشكل واعٍ أو غير واعٍ. ولا توجد حتمًا أيَّة مبرِّرات يمكن أن تُبرِّر سلوكهن أو تُعقلنه. وما يجب العمل عليه هو خلق سرديَّات مضادَّة، بصوت أعلى وانتشار أوسع، لمحاولة الحدِّ ممَّا يجري. ■

*كاتبة ومترجمة

شكوى البيئة في زمن الحروب... قراءة شعرية متعددة الأصوات

لندن: د. حسين رشيد الطائي*

كانت البيئة وما تزال حاضرة كموضوع جميل وخيالي تُستدعى في كثير من الأحيان لتأدية دورٍ بلاغي أو رمزي في خدمة الغرض الشعري لدى الشاعر العربي، سواء في الغزل أو الرثاء أو التأمل الوجداني. لكن ما نَدُرَ رؤيته هو أن تتحوّل البيئة نفسها إلى متكلّم يحاكي القارئ بصوته الخاص؛ صوت ينبع من داخل الطبيعة نفسها، وليس من لسان الشاعر؛ حيث يتحول الماء والسماء والشجر والحجر وكلُّ ما في الطبيعة الى كائنات ناطقة تعبّر عن تجربتها الذاتية. فتتحول طبيعة الشعر العربي الى مرآة للحياة الإنسانية؛ فتضحى العلاقة بين الإنسان والبيئة أكبر من كونها مجرد وصف تجميلي، فهي تحمل دوافع وجدانية وفلسفية، تجعل من الطبيعة جزءًا من الذات الإنسانية، أو أحيانًا كأنها ذات متكلمة وموجودة بذاتها.

ففي الشعر العربي، غالبًا ما يتم تصوير الماء كعنصر يفيض بالحياة والجمال. لكن حين نجعله يبوح بما يراه، يتحوّل إلى صوتٍ ذي حضورٍ. فهذا أمير الشعراء أحمد شوقي يقول:

قف بِهَذا البَحرِ وَانظُر ما غَمَرَ
مَظهَرُ الشَمسِ وَإِقبالُ القَمَر
وَاعرِضِ المَوجَ مَلِيّاً هَل تَرى
غَمرَةً أَودَت بِخَوّاضٍ الغُمَر
أَخَذَت ناحِيَةَ الحَقِّ بِهِ
وَسَبيلَ النَاسِ في خَالي العُصُرُ

فهو لا يصف الماء فحسب، بل يجعل نداء الماء ورؤيته يتجلّيان أمام المتلقّي كأن الماء نفسه يتكلّم عن حاله ومواجاته.

وهذا الشاعر العباسي البحتري في وصف البركة الحسناء يقول :

كَأَنَّما الفِضَّةُ البَيضاءُ سائِلَةً
مِنَ السَبائِكِ تَجري في مَجارِيها
إِذا عَلَتها الصَبا أَبدَت لَها حُبُكاً
مِثلَ الجَواشِنِ مَصقولاً حَواشِيها
فَرَوِنَقُ الشَمسِ أَحياناً يُضاحِكُها
وَرَيِّقُ الغَيثِ أَحياناً يُباكيها
إِذا النُجومُ تَراءَت في جَوانِبِها
لَيلاً حَسِبتَ سَماءً رُكِّبَت فيها
لا يَبلُغُ السَمَكُ المَحصورُ غايَتَها
لِبُعدِ ما بَينَ قاصيها وَدانيها
يَعُمنَ فيها بِأَوساطٍ مُجَنَّحَةٍ
كَالطَيرِ تَنفُضُ في جَوٍّ خَوافيها

هذه الأبيات تجعل الطبيعة في موضع متكلم يروي حواره مع الضوء والليل والماء، وكأن المشهد الطبيعي ينطق عن نفسه بما يراه ويشعر به.

أما ابن زيدون في نونيته فينطوي نصه على تجارب وجدانية مرتبطة بالبيئة، حتى حين يتحدّث عن الليل والفجر فيوظّف عناصر الطبيعة في حواره. رغم أن القصيدة ليست مخصّصة عن البيئة المباشرة، إلا أن الطبيعة تُستحضَر كمنسّق لحالة الشوق والحنين فيقول:

حالت لفقدكم أيامنا فَغَدَتْ
سُوداً وكانت بكم بيضاً لياليناَ
إذ جانب العيش طلّقٌ من تألّفنا
ومورِدُ اللهو صافٍ من تصافينا

ومن المهم أن نذكر أن عناصر الطبيعة في تاريخ الشعر العربي الطويل ترددّت في النصوص كموضوعات وصور جمالية. ولكن في سياق النزاعات والحروب، لم يعد هدف الشعر وصف الطبيعة وحده، بل إضفاء صوت عليها يبوح بما حلّ بها من أثر الحرب والدمار والبصمة الإنسانية على الأرض والماء والسماء وكأن البيئة نفسها تقول كلمتها.

لقد كان التصوير البيئي جزءًا أصيلًا من الموروث الشعري، لكنه غالبًا ما كان مرتبطًا بالحب والفراق والفخر والبطولة وغيرها من المعاني. إلّا أن الحرب كقوة مدمرة أجّجت هذا التصوير ودفعت الشعراء إلى تقديم إصدارات بيئية مليئة بالوجع والاسترجاع والمقاومة، بحيث تكون الطبيعة بوصفها متكلّمة عن نفسها، شاهدة على العبث البشري.

ففي الشعر الجاهلي، المرتبط بالحروب القبلية والمعارك، ظهرت الطبيعة في كثير من الأحيان كخلفية رمزية تُبرز شراسة المشهد الحربي.

فهذا عنترة بن شداد، الذي لم يُستودع أسلوب الطبيعة كـ«متكلّم» بشكل مجازي كامل يستعمل صورة الطبيعة المرتبطة بالساحة الحربية وينيب الخيل في جواب سائليه عن الحرب وشدّتها فيقول:

هلّا سألتِ الخيلَ يا ابنةَ مالك
إن كُنتِ جاهلةً بما لَم تَعلَمي
إذ لا أزالُ على رحالةِ سابحٍ
نَهدٍ تعاوَرَهُ الكُماةُ مُكلَّمِ
طوراً يُجرّدُ للطعانِ وتارةً
يأوي إلى حصَدِ القَسيِّ عرَمرَمِ
يُخبِرْكِ مَن شهِدَ الوَقيعةَ أنّني
أغشَى الوَغى وأَعِفُّ عندَ المَغنَمِ

فهو يستدعي الخيل والوغى كأجزاء من الطبيعة التي تعايش الوجدان الحربي؛ فتبدو البيئة كصوت محايد يروي ما يحدث في ميدان الحرب.

فقد كانت البيئة ترتبط بمعاني القوة والصراع والبناء البدوي، لكن النصوص الشعرية المتعددة تكشف قدرة الطبيعة على أن تكون مرآةً صامتة ومتأثرة بما يحدث من نزاعات.

وفي العصر العباسي، لم تعد الحرب فقط نشاطًا قبليًا أو عسكريًا، بل أصبحت جزءًا من حياة الدولة والنظام، مما انعكس في النصوص الشعرية، سواء في حكايات البطولة أو في التأمل في آثارها.

فهذا المتنبي رغم أن شعره ليس مخصّصًا لوصف الطبيعة المتكلّمة في زمن الحرب استخدم الطبيعة كثيرًا لوصف تصادم القوى والكرامة الإنسانية فيقول:

الخَيْلُ وَاللَيْلُ وَالبَيْداءُ تَعرِفُني
وَالسَيفُ وَالرُمحُ وَالقِرطاسُ وَالقَلَمُ
صَحِبْتُ فِي الفَلَواتِ الوَحشَ منفَرِداً
حَتى تَعَجَّبَ مني القُورُ وَالأَكَمُ

فهو يعبر عن ارتباط عناصر الطبيعة والحرب بهوية الشاعر نفسه، بحيث تصبح البيئة والشهادة الحربية جزءًا لا يتجزّأ من وجوده، وهو ما يمكن تأويله في القراءة البيئية كأن الطبيعة تقول: أنا شاهدة على صولات الفارس واندفاعاته.

ومن الجدير بالذكر ان الشعر العربي المعاصر والحديث قد تأججت فيه صورة الطبيعة غاضبة ومزمجرة وباد عليها صفات الحنق والأسى والحزن والألم جراء ما حل بها بسبب الحروب والظلم والفساد والتطاول. ومن أبرز الشعراء الذين نجحوا في إضفاء صوت بيئي متكلّم حقيقي على عناصر الطبيعة في سياق النزاع هو محمود درويش الذي عاش تجربة الاحتلال والنزاع، فجعل في نصوصه الأرض والماء وكأنهما يتحدثان عن آلامهما:

عَلَى هَذِهِ الأَرْضِ مَا يَسْتَحِقُّ
الحَيَاةْ
تَرَدُّدُ إبريلَ
رَائِحَةُ الخُبْزِ في الفجْرِ..
آراءُ امْرَأَةٍ في الرِّجَالِ
كِتَابَاتُ أَسْخِيْلِيوس..
أَوَّلُ الحُبِّ..
عشبٌ عَلَى حجرٍ..
أُمَّهَاتٌ تَقِفْنَ عَلَى خَيْطِ نَايٍ..
وخوفُ الغُزَاةِ مِنَ الذِّكْرَيَاتْ.

فهذه الأبيات تَصف الأرض ليس بوصف جميل عَابر، بل بوصف يعلن وجود الأرض نفسه رغم الدمار والخطر؛ كأن الأرض تقول بحاضرها: أنا باقية حتى مع أشواك الحرب.

وفي قصيدة أخرى يذكر درويش الماء بصورة مؤلمة فيقول:

كان نهرٌ هنا
وله ضفّتان
وأمٌّ سماويةٌ أرضعَتْهُ السحابَ
المُقَطَّرَ
نهرٌ صغيرٌ يسير على مهله
نازلاً من أعالي الجبال
يزور القرى والخيام كضيف
لطيف خفيف
ويحمل للغَوْر أشجارَ دُفلى ونخل
ويضحك للساهرين على ضفّتيه:
اشربوا لَبَنَ الغيمِ
واسقوا الخيول
وطيروا إلى القدس والشام

فهنا ماء الحياة نفسه يبوح بالجفاف والحرمان بفعل تفشّي الحرب، كأن الطبيعة تقول: أنا لم أعد ما كنت، بل أتألم من الجفاف والاقتتال.

إلا ان الشاعر محمد ولد الطالب في نصوصه عن الحرب يخلط بين الطبيعة والنزاع بطابع سياسي ووجداني، فيقول ضمن أبيات تعبّر عن الصمود تحت صفّ السماء المتشظّية بالرصاص:

من كلِّ فَجٍّ تَرقب الفجرَ طالعاً
وعن نظراتِ القدس قد حُجِبَ الفجرُ
ودجلةُ تَرنو للفرات كئيبةً
وقد اقتسما حزناً وماؤهما مرُّ
وتلك مياهُ النيل ساموا مذاقَهَا
فلم يَنْجُ لا بحرٌ لدينا ولا نهرُ

فهذه الأبيات تجعل من الفجر والسماء كأنهما شهيدان على ما حلّ بالمدينة، يتفاعلان مع الهموم والصراعات.

إنَّ النظر إلى الطبيعة في الشعر العربي باعتبارها كاتبة ومتكلّمة لا يغيّر فقط من صورة البيئة في النص، بل يعيد تشكيل هذا النص نفسه، ويجعل من المشهد الشعري موطنًا للحوار بين الإنسان والكون، بين الذات والوجود.

فنرى كيف تضمنت البيئة حضورًا فاعلًا في الشعر، بل إننا نستطيع أن نقرأ الطبيعة ككائن يتكلّم، يبوح بتجربته، ويتفاعل مع القارئ عبر لغة الشعر.

ويمكن لنا استخراج أبعاد دلالية عدّة مهمة عن كيفية تحوّل الطبيعة متكلّمةً في سياق النزاع؛ منها الشهادة على الوجود والموت؛ وذلك عندما (تتحدث الأرض والماء والسماء عن ما يستحقُّ الحياة)، أو (نهر يموت من العطش)، فإنّها تصبح صوتاً يعبّر عن الصراع الوجودي بين الحياة والدمار، وتُظهِرُ البيئة كسجلٍّ حيٍّ لما يحدثُ عبر الزمن. كما تُبرز أيضا العلاقةَ الجدليةَ بين الإنسان والبيئة من خلال العناصر الطبيعية التي لا تتكلّم بمعزل عن الإنسان، بل تندمج مع آلامه وأفراحه؛ فتبيّن أيضا تمثيل الحرب على مستوى الطبيعة من خلال استخدام السماء والطرق والزهور وغيرها ككيانات تُخبرنا عن الآثار البيئية والنفسية للنزاع.

ولا ننسى المعنى الأخلاقي والوجداني؛ فالصوت البيئي في زمن الحرب يضع القارئ في مواجهة مسؤولية إنسانية تجاه ما يحدث للطبيعة، كأن الطبيعة نفسها تطلب الاعتراف بوجودها وحقوقها بعد تفشّي النزاع.

نستخلص من كل هذا أن الشعر العربي عبر قرونه الطويلة بدءا من الجاهلي إلى الحديث قد تجلّت فيه الطبيعة بكثير من نصوصه كعنصر استُخدم لتعزيز المشهد الشعري التقليدي، لكن في سياق الحروب والنزاعات والنكبات تتحوّل الطبيعة في الشعر إلى صوت يتكلّم عن ذاته، يبوح بما مرّ به من دمار وألم واستمرارية حتى في الظروف القاسية. هذه القراءة لا تنظر إلى الطبيعة كخلفية جمالية فقط، بل كشاهد لغوي وجودي على ما يصيب العالم من تأثيرات الحرب، ما يتيح للقارئ فهمًا أعمق للعلاقة بين الإنسان وبيئته في أقسى اللحظات.

وفي صمت يسبق العاصفة، تتبدّى البيئة ككائن حيٍّ ذي حساسية فائقة، تُجيد التعبير عن انفعالاتها بلغة تتجاوز الكلام، وتستعير من الشعر إيقاعه وصوره. فإذا اختلّ توازنها تحت وطأة الحروب والمظالم والفساد، لم تصرخ بصوت بشري، بل أنشدت مراثيها عبر الرياح والبحار والسماء.

فتغدو الريح حينئذٍ قصيدةً هائجة، تعصف بما في طريقها كأنها تنتقم من عبث الإنسان، وتئنّ في تجاويف الجبال كما لو كانت تبكي ذاكرة الأرض. أما البحار، فتعلو أمواجها بنبرة احتجاج، تتكسر على الشواطئ كقوافٍ غاضبة، حاملةً في زبدها حكايات التلوث والنهب والجشع. وفي السماء، تتلبّد الغيوم بسواد كثيف، لا كعلامة مطرٍ رحيم، بل كناية عن اختناقٍ عميق، ثم تنهمر أمطاراً غزيرة، أقرب إلى دموع كونيةٍ تغسل ما علق من أدران الظلم.

وحين تنتشر الأوبئة، تتبدل لغة البيئة إلى همسٍ ثقيل، حيث يسود السكون المريب، وتذبل الأشجار كأنها تكتب أبياتًا حزينة بأوراقها المتساقطة. حتى الشمس، في بعض تجلياتها، تبدو شاحبة، وكأن نورها قد اعتراه الإرهاق من فرط ما شهد من خللٍ في نظام الحياة.

بهذا المعنى، لا تنفصل البيئة عن الإنسان، بل تعكس أفعاله في مرآة كونية دقيقة؛ فإذا أفسد اضطربت أنغامها، وإذا اعتدى ارتفعت حدّة قصيدتها. إنها لا تعاقب بقدر ما تُذكّر، ولا تثور إلا لتعيد التوازن المختل. وهكذا، يصبح غضبها شعرًا كونيًا، تُنشد فيه قوانين البقاء، وتُذكّر بأن الانسجام مع الطبيعة ليس ترفًا، بل ضرورة وجودية تحفظ للحياة معناها واستمرارها. ■

*أستاذ جامعي، باحث وأديب

الدورة تتزامن والاحتفاء بالرباط عاصمة عالمية للكتاب لعام 2026

ابن بطوطة والأمير الصغير في المعرض الدولي للنشر والكتاب بالرباط

المغرب ـ سعيدة شريف*

على إيقاع أدب الرحلة، واقتفاء لأثر ابن بطوطة أحد أكبر المستكشفين المسلمين عبر التاريخ، تنطلق فعاليات الدورة 31 من المعرض الدولي للنشر والكتاب بالعاصمة المغربية الرباط، من فتح مايو/أيار إلى العاشر منه، ببرنامج ثقافي وفكري غني مخصص لـ "أمير الرحالين العرب المسلمين" كما لقبته جامعة كامبريدج البريطانية، ولكتاب "الأمير الصغير" وهي رواية قصيرة كتبها ورسمها الكاتب والطيار العسكري الفرنسي أنطوان دو سانت إكزوبيري، واستلهمها من تجربته الواقعية كطيار في الصحراء المغربية، وتحديداً في منطقة طرفاية حيث سقطت طائرته عام 1935.

وإلى جانب هذا ستعرف هذه الدورة من المعرض، التي من المتوقع أن يكون عدد الناشرين المساهمين فيها مرتفعا عن الدورة السابقة، تنظيم العديد من الندوات واللقاءات الأدبية والفكرية التي تجمع نخبة مهمة من الكتاب والناشرين الأجانب والمغاربة حول قضايا تهم الكتاب والنشر، والحرية والإبداع، والقيم الكونية والأخلاق التي بدأت تتهاوى اليوم في ظل الحروب والعصبيات التي نعيشها على المستوى العالمي.

هذا فضلا عن فقرات أخرى، من قبيل الاحتفاء بمئوية كتاب مغاربة وعرب وأجانب، أسهموا في تحديث الأدب والفكر الإنساني المعاصر، من مثل الكاتب المغربي إدريس الشرايبي، والكاتبة أمينة اللوه أول روائية مغربية، والشاعر العراقي بدر شاكر السياب، والفيلسوف الفرنسي ميشال فوكو، والفيلسوف العربي ابن رشد الذي مرت 900 سنة على ميلاده. كما سيتوقف المعرض عند مسار عدد من الكتاب المغاربة المرموقين، إلى جانب لقاءات خاصة مع كتاب آخرين، مع الإنصات إلى تجارب شعرية وطنية وعربية عالمية. مع الحرص على تقديم آخر الإصدارات بمختلف اللغات، ذلك أن الهدف الأساس والأسمى في كل معرض للكتاب هو الكتاب نفسه، من خلال ضمان تداوله والحرص على تقديمه للقراء.

غزلان دروس إدارة ومندوبة المعرض.

فرنسا ضيف شرف

وقد اختارت مديرية الكتاب التابعة لوزارة الثقافة المغربية، منظمة هذا المعرض، فرنسا كضيف شرف لهذه الدورة، وذلك بغية الاحتفاء بالعلاقات الثقافية المغربية الفرنسية القوية والشراكات المهمة في هذا المجال، حيث تقول غزلان دروس مندوبة المعرض ومديرة مديرية الكتاب في تصريح لـ «الحصاد»، أن هذا الاختيار جاء للتعبير عن أن «تاريخ فرنسا له أصرة قديمة وعميقة بالنشر والكتاب»، وأن علاقته بالمغرب قوية جدا، تعززت باستضافة فرنسا العام الماضي 2025 للمغرب كضيف شرف للمعرض الدولي للكتاب بباريس، وتم الاحتفاء بالأدب المغربي بهوياته المختلفة ولغاته المتنوعة، ومن قلب باريس أيضا أعلنت منظمة اليونسكو عن اختيارها لعاصمة المملكة المغربية الرباط عاصمة عالمية للكتاب لعام 2026، وهو تتويج يعكس مكانة المغرب في

طارق سليكي رئيس اتحاد الناشرين المغاربة.

جانب من فعاليات المعرض

دعم الثقافة وتعزيز القراءة.

وتضيف مندوبة المعرض أن المغرب بهذه التظاهرة الكبرى المتعلقة بالكتاب في العاصمة الرباط، يجني ثمار الرؤية الملكية الثاقبة، التي سعت منذ عقدين من الزمن إلى جعل الرباط عاصمة للثقافة والأنوار، وعاصمة عالمية للكتاب، فضلا عن كونها عاصمة ذات عمق حضاري وتراثي كبير، وذلك من خلال دعمها ببرنامج تنموي وثقافي استشرافي وبعيد المدى، تعزز ببنيات ثقافية تحتية مهمة كمتحف الفن المعاصر والمسرح الكبير على ضفاف نهر أبي رقراق، الفاصل بين مدينتي الرباط وسلا.

ابن بطوطة أيقونة الثقافة المغربية

وحول دواعي استحضار شخصية ابن بطوطة وفلسفة الاحتفاء بها في الدورة 31 من المعرض الدولي للنشر والكتاب بالرباط، ذكرت غزلان دروس أنها تعود لكون ابن بطوطة «شخصية تاريخية عالمية فذة وأحد أكبر المستكشفين المسلمين عبر التاريخ، وأيقونة شاهدة على عالمية الثقافة المغربية، أجمع الرحالون العالميون الذين جاؤوا من بعده على تسميته بشيخ الرحالين العرب والمسلمين. كما أن ابن بطوطة لم يكن رحالة فقط، بل كان سفيرا للمغرب من الأندلس إلى الصين، حيث جاب الآفاق وامتدت رحلاته من المغرب الأقصى إلى الصين وماليزيا والفلبين ودونها في رحلته الموسوعية "تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار».

ومن خلال شخصية ابن بطوطة سيتم تسليط الضوء على أدب الرحلة في المعرض، من خلال استضافة مجموعة من الباحثين العرب والمغاربة ومؤسسات متخصصة في أدب الرحلة من مثل «مؤسسة عبد الهادي التازي» بالمغرب التي تحمل اسم الدكتور عبد الهادي التازي الذي توفي عام 2015 وترك أكثر من خمسة وخمسين كتابا ما بين تأليف وتحقيق بالإضافة إلى وثائق دبلوماسية وتاريخية ومخطوطات نادرة، و«المركز العربي للأدب الجغرافي ـ ارتياد الآفاق» في أبو ظبي ولندن، التي يديرها الشاعر السوري نوري الجراح وتخصص سنويا منذ عام 2003 جوائز تحمل اسم «جائزة ابن بطوطة لأدب الرحلة» لأفضل الأعمال المحققة والمكتوبة في أدب الرحلة، والتي تنشرها في سلسلة تحمل اسم "ارتياد الآفاق»، الذي تتخذه شعارا لها وجسرا بين المشرق والمغرب وبين العرب والعالَم.

ومنذ انطلاق هذه الجائزة حصد العديد من الباحثين المغاربة جوائزها، نذكر منهم: عبد النبي ذاكر، شعيب حليفي، خالد بن الصغير، عبد الرحيم بنحادة، بوشعيب الساوري، الطائع الحداوي، عبد العزيز جدير، حرية الريفي، محمد النظام، عبد الرحمان التمارة، محمد خطابي، عبد الهادي الكديوي، محمد الأندلسي، والراحلين سعيد الفاضلي وعبد الرحيم مودن وغيرهم من الباحثين المغاربة، الذين كانوا يهيمون على أغلب أصناف جوائزها.

ولتسليط الضوء على عالمية الأدب المغربي وعلى أدب الرحلة بالتحديد، سيستضيف المعرض مجموعة من الباحثين المغاربة والعرب والغربيين الذين سيشاركون في لقاءات مخصصة للرحالة المغربي ابن بطوطة كلقاء "ابن بطوطة في لغات العالم الذي سيشارك فيه كل من الكاتب البريطاني والمترجم تيم ماكنتوش سميت، الذي ألف مجموعة من الكتب حول الشرق الأوسط، والباحثة الإيطالية كلوديا ماريا تريسو التي ترجمت رحلة ابن بطوطة إلى اللغة الإيطالية، والباحث الأمريكي أبدولسات أكيوت، والباحث الشيلي باتريسيو كونزاليس، إضافة إلى الباحثين المغربيين عبد النبي ذاكر ورشيد خالص.

فضاء الأمير الصغير

وبدعم وتنسيق مع مؤسسة «أنطوان دو سانت ايكزوبيري للشباب»، سيخصص المعرض فضاء لمؤلف «الأمير الصغير» للكاتب والطيار العسكري الفرنسي أنطوان دو سانت إكزوبيري (1900–1944)، الذي تأثر بالمغرب واستلهم تلك الرواية الصغيرة العالمية من تجربته الواقعية كطيار في الصحراء المغربية، وتحديدا في منطقة طرفاية حيث سقطت طائرته عام 1935. فأغرم بالصحراء والأدب، واستلهم من سكون الصحراء وكثبانها الرملية وأجوائها أعماله الأدبية الكبرى مثل «بريد الجنوب» و«أرض البشر» و«الأمير الصغير». وتخليدا لهذه الحقبة، تأسس «متحف أنطوان دو سانت إكزوبيري» عام 2004 في طرفاية، وهو متحف للبريد الجوي يوثق لإرثه الإنساني والأدبي، ويحتوي على صور ووثائق نادرة، ونماذج طائرات توثق حقبة البريد الجوي التي عاصرها.

ويعد «الأمير الصغير» المسافر بين المجرات الذي أسعد الكثير من الأطفال في مختلف أنحاء العالم، من أشهر قصص أدب الأطفال في العالم والأكثر ترجمة إلى مختلف لغات العالم واللهجات المحلية، والحائزة على الجائزة الكبرى للأكاديمية الفرنسية، وهي رواية يحكي فيها المؤلف الطيار أنطوان دو سانت إكزوبيري تفاصيل حادثة واقعية تعرض لها برفقة أحد أصدقائه، مما أجبرهما على الهبوط بطائرتهما المعطلة في صحراء ليبيا. وكاد العطش يقتلهما لولا أن أنقذتهما إحدى الأسر البدوية بالماء والطعام والإسعاف. ولم ينس إكزوبيري وقائع هذه الكارثة التي مثلت له في الوقت نفسه رمزا لإنسانية غير محدودة يمتلكها أناس بسطاء يعيشون داخل خيام في عمق الصحراء على معاني الشرف والنبل والكرم.

وإلى جانب النسخ المترجمة والمطبوعة من قصة «الأمير الصغير»، ومن ضمنها اللغة العربية والعامية المغربية، بات الآلاف يستمتعون بفصول القصة «

عبر نسخها المسموعة التي تقدمها عدة منصات إلكترونية، أو عبر أقلام كرتونية متعددة، يجد فيها المتتبعون الكثير من العبر والرمزية أبرزها أن الجوهر الحقيقي للأشياء لا يرى بالعين بل بالقلب، وأن قيم الحب والصداقة والمسؤولية، هي التي يجب أن تسود في العلاقات الإنسانية، خاصة أن الإدراك والفهم الحق للعالم يأتي من مواطن الحب، ولعل هذا البعد الرمزي والفلسفي ولاعتبارها حمالة أوجه في القراءة والتأويل، هو الذي دفع بالكثير من النقاد إلى التحفظ على تصنيفها ضمن أدب الطفل، حيث صنفها البعض ضمن الكتب الفلسفية التي تغوص عميقا في النفس البشرية وأسرارها، وتطرح السؤال الذي أرق البشرية عبر التاريخ، أي ما الذي نفعله هنا؟ وما هي القيم الحقيقية التي ينبغي لنا الالتزام بها؟ وسيعرف فضاء «الأمير الصغير» حضور العديد من الشخصيات من مؤسسة «أنطوان دو سانت ايكزوبيري للشباب»، وحضور رائد الفضاء الفرنسي فليب بيران، المزداد بمدينة مكناس المغربية، وهو كاتب وسفير مؤسسة «أنطوان دو سانت إكزوبيري للشباب».

الرباط عاصمة عالمية للكتاب

ولأن الدورة 31 من المعرض الدولي للنشر والكتاب تتزامن مع انطلاق تظاهرة الرباط عاصمة عالمية للكتاب لعام 2026، فهي ستشهد، كما تقول غزلان دروس مندوبة المعرض، مشاركة كتاب من مختلف القارات واللغات والثقافات، حيث سيتحدث المعرض بلغات العالم، من عربية وأمازيغية وإنجليزية وإسبانية وإيطالية وبرتغالية وفرنسية وغيرها، وستعرف تقديم العديد من الإصدارات والندوات حول مدينة الرباط، وتاريخها وأدبها وأعلامها، مثلما ستشهد الرباط في هذه الدورة تكريم عدد من صناع الكتاب والعاملين فيه، فضلا عن ندوات خاصة سوف تجمع الناشرين المغاربة والأجانب.

وعلى الرغم من التكتم الكبير الذي تحيطه وزارة الثقافة المغربية بتفاصيل تظاهرة الرباط عاصمة عالمية للكتاب التي ستنطلق بالموازاة مع المعرض الدولي للنشر والكتاب، فإن مجلة «الحصاد» علمت أن برمجة هذه التظاهرة التي كان من المفروض أن يُشرع فيها لما تم الإعلان عنها في باريس العام الماضي، عرفت الكثير من التأخر، ولم يتم التواصل مع الناشرين المغاربة إلا في شهر فبراير/ شباط الماضي، وهو ما يؤكده الناشر طارق سليكي رئيس اتحاد الناشرين المغاربة وصاحب دار «سليكي أخوين» بطنجة، لمجلة «الحصاد» ويقول: «تم التواصل معنا كاتحاد بشكل متأخر، وقدمنا مشاريع ما زلنا ننتظر الحسم فيها، هذا مع العلم أن الجهات المعنية على علم باختيار الرباط لأزيد من سنتين وكان ينبغي أن يكون حتى دعم الكتاب في السنتين الأخيرتين استثنائيا ويصب في جوهر هذا الحدث».

ومن بين المشاريع التي قدمها اتحاد الناشرين المغاربة للمشاركة بها في هذه التظاهرة، نذكر: قافلة القراءة المدرسية - الرباط تقرأ، و«500 كتاب .. بداية ألف قارئ» يقترح من خلالها الاتحاد تنزيل مشروع مهيكل يستهدف المؤسسات التعليمية العمومية بالرباط. ويسعى هذا المشروع، كما يقول رئيس الاتحاد، إلى «تحويل الاحتفاء بالكتاب إلى أثر عملي ملموس داخل المؤسسات التعليمية، ودعم الإنتاج والنشر المغربي عبر توزيعه مباشرة داخل الفضاء المدرسي، وتعزيز ثقافة القراءة لدى فئة الشباب، وإرساء نموذج قابل للتعميم وطنيا بعد سنة 2026، وضمان استدامة المشروع عبر إدماجه ضمن برامج الحياة المدرسية وتوفير 500 كتاب مغربي متنوع لكل مؤسسة، مع تخصيص لقاءات مباشرة مع الكتاب المغاربة وورشات للقراءة التفاعلية لفائدة التلاميذ وغيرها من الأشياء التي تدخل في باب التشجيع على القراءة وتداول الكتاب».

الرباط عاصمة عالمية للكتاب.

أزمة النشر بالمغرب

ويضيف طارق سليكي أنه كناشر تقدم بمقترح تنظيم مناظرة وطنية حول صناعة النشر في المغرب في منتصف شهر ديسمبر المقبل بعيدا عن تشويش الانتخابات للوقوف على المشاكل التي تعرفها صناعة النشر بالمغرب بحلقاتها الثلاث (الناشر-الكاتب-القارئ)، وهو ما عبر عنه بـ "الأزمة الصامتة" بالرغم من بعض النجاحات الظرفية التي يحققها بعض الفاعلين في المجال. وتتجلى هذه الأزمة بشكل ملموس ودقيق، كما يقول، في عدد من الحقائق والمظاهر التي لا تخطئها العين، من أبرزها: «تراجع أعداد النسخ المطبوعة من العناوين الجديدة والتي لا تتجاوز كمعدل 500 نسخة للطبعة الأولى، ولجوء الكثير من الناشرين للطباعة الرقمية بالرغم من كلفتها العالية لتجاوز مشاكل التوزيع، والتخزين، وبطء عملية البيع، وعجز دور النشر المغربية عن تلبية الطلب الكثيف على النشر، وفوضى سوق النشر التي تتمثل في المنافسة غير العادلة بين الناشرين، وعدم التزام بعض دور النشر بالعقود المبرمة مع الكتاب، والتملص من التزاماتها، وهجرة الكتاب المغاربة نحو دور نشر مشرقية بالرغم من ضعف الامتيازات التي تمنحها للكاتب المغربي، هذا ناهيك عن تراجع أعداد قراء الكتاب الثقافي مقابل ارتفاع قراء الكتاب المدرسي والجامعي، وصعوبة وصول القراء للكتاب الذي يرغبون فيه بسبب الخلل في التوزيع، وعجز الكثير من القراء عن تلبية حاجاتهم القرائية بحكم ارتفاع أثمان الكتاب المغربي الجاد».

وعلى الرغم من تخصيص وزارة الثقافة المغربية منذ نهاية تسعينيات القرن الماضي لدعم الكتاب والنشر، فإن هذا الدعم لم يساهم بشكل كبير في حل المشاكل التي يعرفها هذا القطاع ولم يرفع من نسبة القراءة، ولم يحسن من وضع الكتاب، الذين صاروا يفضلون النشر على حسابهم أو التحول إلى دور النشر العربية، ما دامت الغايات الأساسية من الدعم والمتمثلة في تخفيض ثمن الكتاب لم تتحقق، وتحول الدعم إلى منحة أو ريع يقدم للناشرين، الذين لم يعودوا يغامرون من أجل النشر أو اكتشاف الأسماء الجديدة، وهو ما يستدعي حسب الكثير من المتتبعين للمجال الثقافي وشؤون النشر والكتاب بالمغرب إلى إعادة النظر في الدعم وإلى شروط الاستفادة منه، وإلى الاهتمام أكثر بالكتاب الذين يعانون الأميرّين من أجل تقديم منتوجهم المعرفي للقراء. ■

*إعلامية وكاتبة من المغرب

محمد علي فرحات

إتجاهات

على منابر كانت أشجاراً

بلا ذئاب

هؤلاء البشعون في البلد الجميل. يصنعون من أشجاره القليلة منابر لصياحهم اليوميّ.

مشهد لا يستحق النظر، لأن الورقة البيضاء أفضل، الشاشة البيضاء، الكلمات العفوية الملبية نداء الغياب. كلمات مثل تنفّس قليل، أقلّ من كاف. كلمات لا تخاف المطر ولا الغبار.

البُشعون على منابر خشبية كانت أشجاراً. يصعدون الى مجد قسوتهم، يفتقد العالم حرية العشب و الأشجار وبشراً قليلين مثل خراف قليلة، في الحد الأدنى للخراف أي بلا ذئاب.

حرية

حرّ وليس لي سيد..

ألعب بخوف مثل كرة. اقذفه عالياً فيسقط ما وراء السور. ليس الجوع خطراً.

انه نوع من الحمية. وليس الأمن حاجة لأننا نرقص مع الذئاب. وليست المعرفة إضافة بعدما توقفت عند أناشيد الجهل الصاخبة.

حرّ وليس لي سيد. مات الأصدقاء أو رحلوا وبقيت لي مساحة زمن. مساحة ربحتها حين نجحت في القفز من قطار العميان وفتحت عينيّ على الفرح. قلت إن بشراً بعيدين لا بد أسعد حالاً وأكثر حرية ولهم أسياد، ولكن غير جاهلين.

حرّ على شاطئ البحر المتوسط، افتح دفاتر النسيان غافراً لهذا السيد أو ذاك أو ذلك، وأنظر الى عليائهم كأنني أنظر من عليائي. تكفيني الحرية نافورة ماء في حقل يابس.

هواء البحر

يتخطى بحر بيروت حدوده هذه الأيام، تنتشر رائحته في الأزقة وتقتحم النوافذ إلى الغرف القصية.

رياح البحر الربيعية، البحر الأخضر أو الداكن الزرقة أو البني المتدرج أو الأصفر الزعفراني، يلبس وشاح الزبد الأبيض، بحر السفن الغرقى والناجية، مناديل الوداع وتلويحة الأيدي لراحلين بلا عودة. بحر المغامرة وغصة الأمهات يربين أبناءهن لبنات الأجانب في المقلب الآخر من الأرض، الأمهات الحزينات يؤدين ما يشبه غناء الفادو البرتغالي، لا يسمعهن أحد.

بحر بلا شواطئ، بلا أشجار وبلا طفولة عابثة. بحر بلا رمل، بلا خطوط على الرمل، وآثار الأقدام لا يمحوها ماء ولا عصف رياح.

عند الشاطئ جلسنا، لم نشعر بالزمن أو أنه كان سريعاً، نراقب بلا ملل حركة الماء وصوت الموج وبقع الضوء ممزوجة بالرذاذ.

بحر يتسع أمامه كل ضيق، لا يقيم حدوداً، فيشرح الصدر هذا الهواء المحمل بالعطر وبراءة الخلق، نتحد به لتنطلق أحلامنا بلا حدود، ونقول إن الآخر جزء من تكويننا.

بحر بيروت يغمرها برائحة أعشابه، يطلب من المدينة أن تصحح وقفتها وأن لا تدير ظهرها له، فالوجه يحلو أمام الماء الكبير ويتجعد أمام الأرض القاحلة، ومعه الفكر يتجعد وينكفئ ويضيق.

الاعتراف

تمسك بيدي مسرعة إلى الحقل المطل على البحر، إلى ذلك الحيز حيث حطام الفخار وحجارة متناثرة كانت، على الأرجح، مدرجاً صغيراً، تؤكد وجوده الباحة الصخرية الملساء في آخر الحطام.

ألحق بها، بحركتها في الحقل، تقطف أعشاباً برية لإعداد الطعام، وأسمعها تدندن لا تغني، تكتفي بالإيقاع.

يدها صارت تراباً وصوتها ضائعاً في الفضاء، وأمشي الآن وحيداً نحو الحقل، مسرعاً أمشي وكل شيء في مكانه، لا أقطف عشباً إنما أدندن مقلداً إيقاعها.

لم أحاول الغناء، كأنها تمنعني، تقول: هذه حجارة بناء روماني، فإما أن تغني باللاتينية أو لا تفعل.

قبل التجربة

عصفور من النافذة يوقظني، لا طلقة رصاص ولا خطبة قائد.

قبل شروق الشمس هدأة الأزرق والرمادي، في ما يشبه الصلاة، لكن الطبيعة في خفتها وحلمها تتهيأ للتجربة، لنهار رصاص وخطب.

خارج الصورة

لا متسع لي في الصورة.

تزاحموا فملأوا إطار المكان وأنا وراء المصور واقفاً بلا دعوة. أرى الصورة على الحائط. أذكُرُهم واحداً واحداً ولا يذكرونني حين ينظرون إليها في بلادهم الجديدة المتباعدة.

الياقات المنشّاة وربطات العنق المناسبة لبزات من الجوخ الإنكليزي أنجزها خياط واحد يثقون به في بناية اللعازارية، يقفون في الحديقة الصغيرة لاستوديو «فاهيه» ملبين أوامر المصور في طريقة الابتسام ووجهة العيون، إلى أن يبهرهم الضوء ويتم التأكد من إنجاز الصورة. حملوها معهم حين رحلوا وبقيت وحدي خارج الصورة، بل إن إطار مسكني مزقته الحروب، لم يبق ملائماً لأي صورة.

كتابة المدينة

تعيش المدن بسلام حين يلزم الأفراد حدودهم، يتكلمون على حيزهم الخاص مكاناً وزماناً، وتتهدد المدن بالدمار حين ينسب البعض إلى نفسه النطق باسمها أو القبض عليها، على ما يظنه نبضها السري.

والكتابة مدينة، تسقط أنت في الامتحان حين تدعي القبض عليها، تدخلها الأبدية، تدفعها إلى الدمار حين تعتبرها رسالتك الخالدة.

الكتابة الباقية تواضع.

خطوط محفورة على عمود.

حكاية شخصية جداً في مكان الآخرين المفتوح.

أما الكتابة الرسولية فمعناها الوحيد موتُ المدينة طلباً لبعث لن يكون.

بحر لغيرنا

البحر يضخ أمواجه عالياً: هنا الحياة لا يعرف سرها أحد.

البحر المتهم بالزرقة. بحر أبيض أو أخضر أو رمادي يقارب السواد.

البحر في سكونه ساحة بلا نهاية. نقف تحت الضوء ولا نلمح مدى المياه المدغمة بالكون.

تحت الضوء صوت الأرغن يعزفه أعمى.

تحت الضوء جسد الراقصة يلمع والبحر يخفي عينيه تحت المياه. لنا البحر ولغيرنا أيضاً. كل شاطئ وله شاطئ مقابل، فلا وطنية للبحر ولا هوية. بحر يشبه السفن الضائعة. تفقد السفينة وطنها حين تبحر ولا يسعف العلم المرفوف. بحر السفن والغرقى ليس لنا وحدنا، بحر الوداع وتلويحة الأيدي والمناديل الأبيض الذي كان.

بحر المغامرات غير المحسوبة وغصة الأمهات. تتأكد وحدته وقسوته بعيداً من الشواطئ، بلا أصداف ولا طفولة ولا خطوط على الرمال.

كم كان يقدّم إلى شواطئه عدوى الغموض، وعدوى الشتات، إلى مدن تبدل سكانها كل مئة من السنين، تستقبل الغرباء حتى الاستئناس ثم يرحلون من جديد.

لم يفقد البحر سحره في عصر الطائرات، وداعاته العاطفية في عصر الانترنت.

بحر لغيرنا ويبخل علينا بنعمة الغرق. ■

الإستخدام الواسع للذخائر يأتي مع آثار صحية مروعة

تأثير النزاعات المسلحة على البيئة في الشرق الأوسط والخليج

بيروت: محمد المشنوق*

في ظل التصعيد المستمر للأعمال العسكرية بين الولايات المتحدة وإسرائيل من جهة وإيران وحزب الله من جهة أخرى، تزداد المخاوف بشأن التأثيرات البيئية الكارثية الناتجة عن هذه النزاعات. إن معركة السيطرة على النفوذ في منطقة الشرق الأوسط لا تقتصر على الجوانب العسكرية والسياسية فحسب، بل تمتد لتشمل بيئة هشة تتعرض لمجموعة من التحديات المناخية والتلوث البيئي. ومع إعلان الرئيس الأميركي دونالد ترامب عن استمرار العمليات العسكرية في الأسابيع المقبلة، تُسلط الأمم المتحدة الضوء على المخاطر المائية المتزايدة في المنطقة، حيث يترتب على النزاع تفاقم المشاكل المتعلقة بإمدادات المياه السليمة، بما في ذلك تدهور جودة المياه وندرتها.

يتزايد القلق من تأثيرات النزاع ليس فقط على التنوع البيولوجي، بل أيضًا على مصادر المياه الحيوية التي يعتمد عليها ملايين السكان في المنطقة. إن التأثيرات السلبية المحتملة على البيئة ليست مجرد أضرار فورية، بل تشكل تهديدًا طويل الأمد لاستدامة الحياة البشرية والنظم البيئية في هذه المنطقة المضطربة. في ظل هذه الظروف، يصبح من الضروري أن تُعطى الأولوية لإيجاد حلول سلمية تضمن حماية البيئة والموارد الطبيعية.

تهديد دول الشرق الأوسط والخليج

يؤدي التصعيد العنيف المستمر في أجزاء من الشرق الأوسط إلى سقوط ضحايا مدنيين، وإجبار المجتمعات على النزوح، وإلحاق أضرار بالبنية التحتية، والتسبب في آثار بيئية واسعة النطاق. النتيجة هي ظاهرة تؤثر على جميع الدول المعنية، حيث يتمثل تعقيد اللجوء نتيجة للصراعات في زيادة الضغوط البيئية على الدول المجاورة، مما فاقم من المخاوف البيئية الإقليمية.

تستخدم تقنيات الاستشعار عن بُعد لتأكيد استهداف منشآت نفطية، بما في ذلك تلك الواقعة بالقرب من مناطق سكنية وداخلها مثل طهران. يتعرض السكان في إيران، بمن فيهم الأطفال، للإصابة بالاستنشاق المباشر لدخان كثيف ناتج عن احتراق النفط، والذي يحتوي على مركبات خطرة. وتزداد المخاوف بشأن المخاطر طويلة المدى على صحة الإنسان والبيئة بسبب التعرض المستمر للتلوث الناتج عن الحرب.

تؤثر هذه النزاعات أيضًا على دول مثل العراق وسوريا المجاورتين، مما يتسبب في تدفق اللاجئين وارتفاع معدلات التلوث، بالإضافة إلى التدهور في الظروف الاجتماعية والاقتصادية فيها. ومن ثم، تؤثر كل أزمة بطريقة متداخلة، مما يجعل من الصعب تطبيق حلول محلية دون الاعتراف بالتأثيرات الإقليمية.

التلوث والتأثيرات الصحية

تُظهر تجارب النزاعات السابقة أن حرائق وتسرّبات النفط يمكن أن تُسبب تلوثًا واسع النطاق ومخاطر صحية كبيرة، نتيجة التعرض للدخان والجسيمات والغازات والانبعاثات السامة. قد تتسرب الملوثات الناتجة عن الحرائق غير المسيطر عليها إلى التربة والمياه، وتصل إلى المياه الجوفية، وتمتصها المحاصيل، مما يؤدي إلى تلوث الإمدادات الغذائية. تشكل هذه الظواهر تهديدًا كبيرًا على الأمن الغذائي في منطقة تعاني أساسًا من نقص الموارد.

وعلى سبيل المثال، في المناطق التي تعرضت لعمليات عسكرية مكثفة، تم تسجيل زيادة في حالات الأمراض التنفسية والسرطانية، حيث تتعرض المجتمعات لضغوط أكبر بسبب فشل النظام الصحي في التعامل مع الأزمات الناتجة عن التلوث. تُظهر الدراسات أن الأطفال وكبار السن هم أكثر الفئات تأثرًا، مما يتطلب استجابة سريعة لحماية الصحة العامة.

قبل اندلاع هذا النزاع، كانت المنطقة تعاني بالفعل من ضغوط بيئية شديدة، لا سيما فيما يتعلق بالموارد المائية. تُنذر الضربات التي تستهدف محطات تحلية المياه في عدة بلدان بعواقب كارثية على المجتمعات التي تعتمد عليها كمصدر أساسي للمياه. كما تُشير الإحصاءات إلى أن معدلات التلوث في المياه الجوفية قد زادت بشكل ملحوظ، مما يزيد من تفشي الأمراض الناتجة عن استهلاك الماء الملوث.

تأثير النزاعات على الوضع البيئي في لبنان

يُعد لبنان واحدًا من البلدان الأكثر تضررًا من الحروب والنزاعات في منطقة الشرق الأوسط. فقد شهد لبنان تدميرًا واسع النطاق للبيئة بسبب الصراعات المستمرة، التي أدت إلى تدهور الحياة الطبيعية والتنمية المستدامة. استخدام الأسلحة الحارقة، بما في ذلك الفوسفور الأبيض، أدى إلى حرائق مدمرة في الأراضي الزراعية والغابات.

في عام 2024، أظهرت صور الأقمار الصناعية كيف تم تدمير حوالي 10,800 هكتار من الأراضي، مما يعكس تأثيرًا عميقًا على الاقتصاد الزراعي. هذه الأضرار ليست مجرد خسائر في الموارد الطبيعية، بل تؤثر أيضًا على الأمن الغذائي للبنان، حيث يعتمد السكان على هذه الأراضي في الزراعة.

تلوث المياه والتحديات البيئية

تعاني موارد المياه في لبنان من تأثيرات متعددة، بما في ذلك التلوث الناجم عن المخلفات الصناعية والزراعية. وقد أظهرت التقارير وجود تدهور في نوعية المياه بسبب الاستنزاف المفرط والتلوث، مما يسفر عن خطر شرب مياه ملوثة. تساهم هذه الأزمة في تفشي العديد من الأمراض التي تؤثر على صحة السكان.

تتسبب المواد الكيميائية المستخدمة في الزراعة، والتخلص غير السليم من النفايات، في تدني مستويات جودة المياه، مما يؤثر على الإمدادات المائية للسكان. بالإضافة إلى ذلك، هناك قلق متزايد بشأن الوضع في نهر الليطاني، حيث يعتبر هذا النهر من الموارد المائية الحيوية، ولكن تعرضه للتلوث بسبب النشاط الصناعي في المناطق المجاورة أدى إلى تدهور نوعية مياهه بشكل خطير.

وفي ضوء تغيّر المناخ، يزداد الضغط على المياه العذبة بسبب ظواهر الجفاف وارتفاع درجات الحرارة، مما يجعل من الضروري تطوير استراتيجيات جديدة لحماية الموارد المائية وتعزيز القدرة على الصمود.

آثار النزاعات على سوريا وتدمير البيئة

في سوريا، كانت النزاعات المسلحة سببًا في تدهور البيئة بشكل كبير، حيث أُفيد بتدمير العديد من المساحات الخضراء والموائل الطبيعية. الغابات، مثل غابة كودنا، تعد من الكوارث البيئية التي شهدتها البلاد، وهي تمثل موئلًا لمئات الأنواع الفريدة من الحيوانات والنباتات. لقد أدى التخلص من الأشجار والغطاء النباتي إلى اضطراب النظام البيئي وزيادة التصحر.

التهديد الإشعاعي

هناك قلق متزايد بشأن الملوثات الكيميائية والنواتج الإشعاعية الناتجة عن استخدام أسلحة خاصة. كما تشير التقارير إلى اكتشاف آثار من اليورانيوم في مناطق تعرضت للقصف، مما يشير إلى أن هذه المناطق يمكن أن تصبح غير صالحة للسكن لفترات طويلة. الاستخدام العسكري للأسلحة القابلة للتفجير يزيد من خطر تلوث الأرض والمياه، مما يصعب جهود إعادة الاعمار في المستقبل.

إضافة إلى ذلك، فإن التهجير الواسع النطاق للسكان يؤثر سلبًا على التركيبة الاجتماعية والبيئية للمجتمعات المحلية. حيث تكافح البلدان المجاورة مثل لبنان والأردن لإدارة تدفق اللاجئين، مما يزيد من الضغط على الموارد المحدودة في تلك البلاد.

آثار النزاعات على إيران والوضع البيئي

تعاني إيران من آثار جسيمة للنزاعات ولا سيما الانعكاسات البيئية لها. في عام 2025، أظهرت الأحداث العسكرية تأثيرًا سلبيًا ملموسًا على بيئة البلاد وتنوعها البيولوجي. استُهدفت منشآت صناعية حساسة، مما أدى إلى تلوث الهواء والماء نتيجة الانفجارات والانبعاثات السامة.

هذا الاستخدام الواسع للذخائر يأتي مع آثار صحية مروعة، حيث يمكن أن تتسبب الجسيمات الصغيرة والغازات السامة في حدوث مشكلات صحية خطيرة على المدى الطويل. الأمراض التنفسية، مثل الربو، والمشاكل القلبية يمكن أن تتفاقم بسبب ارتفاع مستويات التلوث.

»

كما أن زيادة الوعي حيال الصحة العامة والتأثيرات البيئية الناتجة عن النشاط العسكري تدفع السلطات الإيرانية إلى اتخاذ خطوات لتقديم حلول التخفيف وتعزيز الوعي البيئي بين السكان. لكن هذه الجهود تواجه تحديات كبيرة بسبب عدم الاستقرار السياسي والاقتصادي.

دول الخليج والتحديات البيئية الاعتماد على تحلية المياه

تواجه دول الخليج العربي تحديات بيئية خاصة بها، حيث تعتمد هذه الدول على تحلية مياه البحر لتلبية احتياجات سكانها المتزايدة. تعد تحلية المياه حلاً بديلاً للتحديات المائية، لكنها في ذات الوقت تُشكّل عبئًا على البيئة.

تتطلب عمليات التحلية كميات هائلة من الطاقة، مما يزيد من انبعاثات الكربون ويؤثر سلبًا على المناخ. يُبرز ذلك الحاجة إلى التحول إلى مصادر الطاقة المتجددة لتقليل التأثيرات السلبية على البيئة، حيث تتجه بعض الدول الخليجية نحو استثمارات في الطاقة الشمسية وطاقة الرياح كجزء من استراتيجياتها الوطنية.

تأثيرات التلوث

التخلص من المياه المالحة الناتجة عن عمليات التحلية يؤثر بشكل كبير على النظم البيئية البحرية. تدّعي بعض الدراسات أن الانبعاثات الناتجة تُسبب الاستنزاف التدريجي للحياة البحرية، مما يُهدد مصادر العيش للسكان الساحليين الذين يعتمدون على الصيد كمصدر رئيسي للرزق.

تتسبب السياسات الزراعية المتخلفة في تصاعد مستويات تلوث المياه والتربة، مما يؤدي إلى تدني إنتاجية المحاصيل والاضطرار إلى استيراد المزيد من المواد الغذائية. وهذا يصعب على تلك الدول تحقيق الأمن الغذائي، بالإضافة إلى الضغوط الناتجة عن التغيرات المناخية ونقص الموارد الطبيعية.

الاستجابة الدولية والدعوات للهدنة

يسعى برنامج الأمم المتحدة للبيئة إلى العمل مع الدول الأعضاء لتحفيز الاهتمام بقضايا البيئة في سياق النزاع. يُعدُّ تطوير استراتيجيات للتعامل مع الأثر البيئي للنزاعات ضرورة ملحة، بما في ذلك توسيع نطاق الجهود التي تُركز على التحضير للكوارث والحفاظ على التنوع البيولوجي.

يدعو الأمين العام للأمم المتحدة، أنطونيو غوتيريش، إلى إجراء وقف فوري للأعمال العدائية لضمان الحفاظ على البيئة وبداية التعافي. تعتبر هذه الدعوة ضرورة ملحة للنهوض بإيجاد حلول سلمية تُعالج القضايا البيئية وتعزز السلام والاستقرار في المنطقة.

إن استكمال الرؤى التنموية بالعمل البيئي يعزز من فرص الحفاظ على الموارد، مما يتطلب دعم المجتمع الدولي والجهات الفاعلة المحلية لتعزيز الشراكات وبناء الاستراتيجيات.

إن التأثيرات البيئية الناجمة عن النزاعات المسلحة تتجاوز الحدود الوطنية، يستدعي الوضع استجابة شاملة وعاجلة على المستوى العالمي. إن التصعيد المتواصل للحروب يفرض ضرورة التفكير في سياسات حلول سلمية وتحقيق استدامة الموارد الطبيعية.

تعتبر البيئة جزءًا لا يتجزأ من الأمن القومي، ويجب أن تُؤخذ التحديات البيئية بجدية لمواجهة مخاطر المستقبل. تعزيز التعاون الإقليمي والدولي يُعتبر الخطوة الرئيسية نحو ضمان بيئة مستدامة وصحية، تُسهم في تعزيز السلام والاستقرار في الشرق الأوسط.

يجب أن نكون واعين أن الأثر البيئي لا يتوقف عند حدود جغرافية، بل يتجاوزها ليؤثر على الصحة العامة والموارد الطبيعية. الدعوة إلى العمل المشترك والإرادة السياسية أمر أساسي للحفاظ على كوكبنا وضمان مستقبل آمن للأجيال القادمة. بهكذا.

فإن مواجهتنا الجماعية للتحديات البيئية ستعزز من القدرة على التغلب على الأزمات وتحقيق الأمل في غدٍ أفضل.

* صحافي - وزير لبناني سابق

تصريحات الخبراء حول المخاطر البيئية

■ يعيد الخبراء في المجال البيئي الانتباه إلى التداعيات طويلة الأمد للنزاع بين الولايات المتحدة وإسرائيل وإيران، من خلال مراقبة دقيقة وإحصاءات تفصيلية عن التدهور البيئي. حيث بدأت القصة تتصاعد مع سحابة كثيفة من الدخان التي غطت سماء طهران بعد قصف منشأة لتخزين النفط في 8آذار بينما تتواصل الغارات الإسرائيلية على لبنان وتبادل الضربات بين واشنطن وتل أبيب من جهة وإيران من جهة أخرى في مختلف أنحاء الشرق الأوسط.

في هذه الأثناء، يشير نجيب صعب، الأمين العام للمنتدى العربي للبيئة والتنمية، إلى أن فريقه قد اضطر لتقليص عملياته بشكل كبير، مما جعل التحول للعمل عن بُعد أمرًا لا مفر منه. وقد تعرضت مكاتبهم في وسط بيروت لأضرار مرتين مؤخرًا بسبب الانفجارات القريبة.

بالإضافة إلى ذلك، كشفت التقارير أن الولايات المتحدة وإسرائيل بدأتا هجماتهما على إيران يوم 28 شباط، بما في ذلك ضربة استهدفت مدرسة الشجرة الطيبة الابتدائية في ميناب بمحافظة هرمزغان الإيرانية، مما أدى إلى مقتل 175 شخصًا، منهم العشرات من الفتيات.

وقد استجابت طهران لاحقًا بأعمال انتقامية.

بينما تتصاعد الضربات strikes عبر المنطقة، تتعرض البنية التحتية المدنية للطاقة لمزيد من الأضرار، مما يثير القلق بشأن التداعيات البيئية والمخاطر الصحية العامة. في 7 آذار غطت سحابة كثيفة من الدخان سماء طهران بعد ضربات جوية إسرائيلية على منشآت النفط، وهو ما أسفر عن مقتل أربعة أشخاص على الأقل. وفي 10 آذار أصدرت منظمة الصحة العالمية تحذيرًا من "المطر الأسود" الذي سقط على طهران بعد الضربات، مشيرةً إلى أنه يمثل خطرًا حقيقيًا على الإيرانيين، وقد نصحت السكان بالبقاء في المنازل.

كما أضافت كريستيان ليندماير، المتحدثة باسم منظمة الصحة العالمية، أن الضربات الإيرانية على بنية النفط التحتية في البحرين والسعودية أثارت مخاوف من "زيادة التلوث الإقليمي"، مشيرةً إلى الآثار الدائمة للملوثات وتأثيرها على الصحة التنفسية وتلوث المياه.

وأشار نجيب صعب إلى أن التعرض للمواد السامة في ظل النزاع سيكون له تأثيرات "ستستمر لعشرات السنين بعد انتهاء الحرب"، خاصة في ظل عدم وجود مؤشرات على التخفيف الحالي. ولفت إلى أن "الهدف النهائي هو السيطرة على الموارد الطبيعية، وليس تحرير الناس من الأنظمة الاستبدادية كما تدعي الولايات المتحدة وإسرائيل".

بالإضافة إلى ذلك، أشار صعب إلى أن تعقيد النزاع يكمن في أن الأطراف المتصارعة تعتمد على الأيديولوجيات المتطرفة لتجنيد الدعم من قواعدها الجماهيرية، ما يحول النزاع إلى "نوع من الحرب المقدسة". وبهذا الشكل، يتجاهل المتحاربون القواعد التقليدية التي تحكم النزاعات والقوانين الإنسانية الدولية.

ونبه صعب إلى وجهة نظر الإدارة الأميركية التي تعتبر العالم "فرصة عقارية بحتة" دون مراعاة لحقوق الإنسان وحقوق الشعوب. وتجلى هذا في الهجمات على منشآت الطاقة التي بدأت في إيران، والتي أدت إلى ردود أفعال متناظرة في الدول العربية التي تستضيف الوجود العسكري الأميركي.

وفي ختام تصريحاته، حذر صعب من أن الوضع البيئي قد يصبح أكثر خطورة إذا استمرت التوترات في التصاعد.

المؤتمر الدولي العلمي التاسع عشر لجمعية البيئة والصحة العراقية في المملكة المتحدة

معالجة التلوث البيئي في العراق

■ بالتعاون مع سفارة جمهورية العراق وبرعاية مجلة «الحصاد»

لندن: أ. د. جيهان بابان *

د. جيهان بابان تتوسط الأكاديميين والخبراء والعلماء العراقيين والأجانب

استضافت كلية الهندسة في كلية لندن الجامعية في يوم الأثنين المصادف الثلاثين من آذار عام 2026، المؤتمر الدولي العلمي التاسع عشر لجمعية البيئة والصحة العراقية في المملكة المتحدة تحت عنوان «التقنيات الحديثة ودورها في أدارة هندسة الموارد المائية المستدامة ومعالجة التلوث البيئي في العراق» وقد عقد المؤتمر بالتعاون مع سفارة جمهورية العراق في المملكة المتحدة، وبدعم من مجلة «الحصاد» المتخصصة في قضايا الوطن العربي والعالم. وتميز المؤتمر بمشاركة مجموعة من الأكاديميين والخبراء والعلماء العراقيين والأجانب المتخصصين في هندسة المياة والبيئة وهندسة الطاقة المتجددة والصحة العامة، وبحضور متميز من شخصيات اكاديمية عراقية واجنبية.

وفي جلسة الأفتتاح التي ادارتها السيدة ريما سليم السخني ودعت الأستاذة الدكتورة جيهان بابان لأفتتاح المؤتمر العلمي التاسع عشر والقاء كلمة بالمناسبة. وتناولت كلمة الأفتتاح التي قدمتها رئيسة جمعية البيئة والصحة العراقية في المملكة المتحدة ترحيبا بالحضور الكرام واستعرضت فيها بإيجاز الدور الذي لعبته الجمعية في عقد المؤتمرات الاكاديمية حول البيئة والمياة والطاقة والتغير المناخي والصحة العامة وفي العراق بشكل خاص وتعزيز وادامة الروابط العلمية والتواصل بين المختصين والاكاديميين والباحثين في داخل العراق وخارجه. وتناولت أيضا أهمية إقامة هذا المؤتمر رغم حالة الحرب المستمرة في الشرق الأوسط مؤكدة على اهمية دور العلماء والأكاديميين على الأستمرار بالمشاركة الفاعلة في البناء ودعم السلام والعمل من اجل بيئة مستدامة صحية ونظيفة، خاصةً مع تصاعد مخاطر التلوث الناجمة عن الأنشطة العسكرية التي تهدد الأمن المائي والصحي والوطني وتقديم حلول ناجعة لهذة التحديات. وقد شكرت أيضا كل من ساهم في الأعداد لهذا المؤتمر والعمل من اجل ان يكون ناجحا وبمخرجات وتوصيات تخدم البيئة العراقية.

تلاها كلمة سعادة سفير جمهورية العراق لدى المملكة المتحدة الدكتور صالح حسين علي التميمي والتي القاها بالنيابة عنه المستشار الأستاذ عامر عبد الحسين الفتلاوي وشكر فيها الجمعية على تنظيم المؤتمر التاسع عشرالمهم، وتناول فيها أهمية استخدام العلم والابتكارات العلمية الحديثة في مواجهة تبعات التغير المناخي و للحفاظ على سلامة مكونات البيئة و التنوع الاحيائي واكد أيضا على دور سفارة جمهورية العراق في المملكة المتحدة في دعم الكفاءات العراقية خارج الوطن وربطها بالمؤسسات الوطنية المتخصصة لتطوير بيئة ومياه العراق.

وقد حضر المؤتمر ايضا المستشار السيد أثير الساعدي من سفارة جمهورية العراق في المملكة المتحدة والسيد الملحق الثقافي العراقي في المملكة المتحدة الأستاذ الدكتور قصي كمال الدين الأحمدي.

وتلتها فقرة خاصة لتقديم درع المؤتمر التاسع عشر الى الشخصيات التي ساندت الجمعية ودعمتها والى العلماء المشاركين بتقديم المحاضرات ومنهم سعادة سفير جمهورية العراق لدى المملكة المتحدة الدكتور صالح حسين علي التميمي والبروفيسور وليد الولي والدكتور حسين الجلبي والسيدة نوار عبد الهادي والمهندس هفال كاظم والمهندس فاخر الحميداوي ومجلة «الحصاد».

وفي الجلسة الصباحية التي ادارتها السيدة نوار عبد الهادي، استعرض الدكتور جاسم الفلاحي وكيل وزير البيئة في وزارة البيئة العراقية في محاضرته المدعومة بالإحصائيات عن مظاهر التغير المناخي في العراق، الذي يعتبر من اكثر بلدان العالم تضررا خاصة على صعيد شحة المياه التي تهدد الأمن الغذائي والمائي ضاعف منها تقلص حصص المياه الواردة من تركيا وإيران، وادت الى انخفاض الخزين المائي الاستراتيجي والتي يستخدم 73% منها في القطاع الزراعي و الباقي للشرب والاستخدام المنزلي وللأغراض الصناعية. ومن مظاهر تغير المناخ الهامة هو ارتفاع معدلات الحرارة تدني التساقط المطري والجفاف والتصحر وخسارة الأراضي الصالحة للزراعة والتي قد تؤدي انخفاض جريان دجلة والفرات بنسبة 30% بحلول عام 2100 وقد حذر البنك الدولي من تراجع الدخل الوطني ونزوح السكان من المناطق الريفية بسبب نقص المياه. فعلى سبيل المثال في محافظة البصرة، لا يحصل

»

سوى11% من السكان على مياه صالحة للشرب، مما يؤدي لتفشي الأمراض المرتبطة بالتلوث المائي كالديزنتري و التيفويد والكوليرا.

وأوضح الدكتور طورهان المفتي (الوزير السابق ومستشار شؤون المياة لرئيس مجلس الوزراء العراقي) العلاقة العضوية بين تزايد مظاهر تغير المناخ ودبلوماسية المياه في العراق ومن منظور تاريخي عن اعتماد واردات العراق المائية على ما يصله من تركيا وإيران وسوريا وتأثير السدود التي أقيمت والروافد المقطوعة في اعلى المصب على حصته المائية. وفي الوقت الذي يعتبر العراق احد اكثر الدول عالميا بالتأثر بالتغير المناخي الا انه يفتقد ولأسباب تناولتها المحاضرة في عدم وجود معاهدات او اتفاقات معتمدة دوليا حول تقاسم المياه مع حكومات بلدان المنبع منذ بدء الدبلوماسية العراقية عام 1937سوى بروتوكولات ومذكرات تفاهم أهمها مذكرة تفاهم مع تركيا دخلت حيز التنفيذ في 2020، تشكل أساسا ناجحا للدبلوماسية المائية العراقية.

من ثم قدّم البروفيسور سلمان الرواف، (مدير معهد الصحة العامة بمنظمة الصحة العالمية في كلية إمبريال لندن)، محاضرة تناولت أزمة المياه والصحة على الصعيد العالمي حيث يفتقر 2.2 مليار شخص لمياه شرب آمنة ويموت سنوياً 3.5 مليون بسبب أمراض مرتبطة بالمياه، وأن 80% من مياه الصرف الصحي لا تخضع للمعالجة. بينما يصل 42% من سكان العراق مياه صالحة للشرب في الوقت الذي تشهد الأنهار والمسطحات المائية مستويات تلوث عالية ملحية وكيمياوية و بايولوجيه كنتيجة ضعف وهشاشة البنية التحتية وسوء الحوكمة وقلة الاستثمار. وأشار الى أزمة البصرة الصحية عام 2018 كنموذج لما قد يحدث نتيجة تلوث المياه.

وناقش البروفيسور نظير الأنصاري (جامعة لوليا في السويد) تقنيات التخزين الحراري في الكهوف الصخرية المستخدمة في شبكات التدفئة المركزية الأوروبية حيث تعتمد على تخزين الحرارة داخل خزانات مياه مضغوطة في االأرض وتقوم الصخور فيها بتقليل فقدان الطاقة الحرارية حيث يتم استخدام المياه الساخنة للتدفئة خلال فصل الشتاء، بينما يُستخدم الماء البارد لأغراض التبريد في الصيف. وتطرقت الدراسة إلى نماذج تطبيقية من فنلندا والسويد، كما تم إجراء مقارنة بين أنظمة التخزين العمودي والأفقي من ناحية الكفاءة والجدوى الاقتصادية، واستعرضت المحاضرة دراسات تطبيقية في كردستان العراق وفي كربلاء وبابل حيث قام فريقه العلمي بتطوير نموذج للتخزين الحراري مدعومة بمعادلات علمية لتوضيح فعالية تلك التقنيات.

واستعرضت الأستاذة الدكتورة جيهان بابان (رئيسة جمعية البيئة والصحة العراقية في المملكة المتحدة) التقنيات والابتكارات الحديثة المكرسة لضمان الإدارة الفعالة والاستدامة للتحديات المائية مثلا في معالجة وتنقية وتحلية المياه وتخليصها من الملوثات والشوائب وإعادة استخدامها في الزراعة والصناعة، وتطرقت إلى ما هو جديد في تقنيات الزراعة الذكية واستخدام الرقمنة والتقدم في تقنيات اغشية النانو لمشاريع تحلية المياه والجديد في الابتكارات لأستخلاص الماء من الهواء .

وفي معرض مناقشة الترابط العضوي بين المياه والطاقة اكدت فيها ان «لا طاقة بدون مياه ولا مياه بدون طاقة» ومنها استخدامات الطاقة الكهربائية في ضخ و تنقية المياه من التملح و الملوثات وأكدت على أهمية دمج الطاقة الشمسية في المشاريع المائية كمصدر للطاقة لتعزيز الاستدامة بالاستفادة من التطورات الحديثة التي تشهدها هندسة الطاقة الشمسية على مستوى أنواع الالواح الشمسية والخلايا الكهروضوئية و خزن الطاقة وفي دمجها بتقنيات الذكاء الاصطناعي لزيادة كفاءتها ، وأشارت إلى ضرورة تجاوز المعوقات مثل نقص الاستثمار وهشاشة البنية التحتية للمياه و مراجعة وتحديث دور التشريعات لتحقيق الأمن المائي في العراق.

وفي جلسات الظهر التي ادارتها الأستاذة الدكتورة جيهان بابان, قدم البروفيسور كيرن توت - مهراج (الجامعة الملكية البريطانية للزراعة) محاضرة تناولت احد اهم تحديات استدامة المياه وهي معالجة المياه العادمة والصرف الصحي، مشيرًا إلى أن 90% من مياه الصرف الصحي في البلدان النامية تذهب لتلوث الأنهار بدون معالجة. وخلال تقديمة تناول دور استراتيجيات إعادة تدوير المياه واستخدام الابتكارات الحديثة كتقنيات النانو كتعزيز للحلول الممكنة لتحقيق الاستدامة المائية ، ونبّه إلى ضرورة اعداد دراسة دقيقة حول الجوانب الصحية والكلفة الاقتصادية ودور التشريعات القانونية لأعادة تدوير المياة العادمة والصرف الصحي واستعرض أيضا بعض النماذج التطبيقية في البلدان النامية.

وألقى الدكتور دومنك كلايد - سمث (كلية الهندسة جامعة اليوسيل) محاضرة استعرض وناقش فيها مصادر التلوث وتأثير نقص المياه المجتمعي والاقتصادي والصحي واهمية اعتماد منظومات لادارة ومعالجة المياه تعتمد الابتكارات والتكنولوجيا الحديثة مثل المستشعرات لجمع البيانات ودمجها بتقنيات التعلم العميق للذكاء الاصطناعي المدعومة بالطاقة الشمسية المتجددة كمصدر للطاقة في مراقبة جودة المياه في العراق وتحقيق متطلبات الإدارة المائية المستدامة. واشار الى أهمية تحديث البنية التحتية للمياة وتحديد نقاط مراقبة لنوعية المياه لتفادي أزمات مثل ما حدث في البصرة 2018.

وتناول المحاضرالسيد ستيف روان، (استشاريو الأرض والبيئة البحرية) أثر التلوث النفطي والنفايات والحروب على البيئة في العراق، مشيراً إلى الجفاف وفقدان الأراضي الزراعية وتبعاتها السلبية على الأمن المائي وفقدان الأراضي الزراعية. و قدم اطارا يتكون من خمس محاور كأساس في المعالجات منها تحديث البنية التشريعية و القانونية واعتماد البحوث عبر الشراكات مع الجامعات والمؤسسات المتخصصة في العالم واعتماد الابتكارات و التقنيات الحديثة وتطوير نظم مراقبة واستعرض مقترحات تتعلق بكل محور.

وناقش البروفيسورعادل شريف (جامعة سري ووزارة التعليم العالي في العراق) دور التكنولوجيا في مواجهة شحة المياه في العراق لتعزيز الحلول التي تدعم الأستدامة وبالتحديد في اعادة تدوير المياة ومشاريع تنقية وتحلية مياة البحر وايضا استخدام تقنيات الزراعة الذكية التي تقلل من هدر المياة وبالاعتماد على تطبيقات الذكاء الأصطناعي. و انتقل بعدها الى استعراض تحديات منها نقص حصص المياه التي تصل الى العراق وسوء الإدارة وضعف الحوكمة وزيادة معدلات التلوث والجفاف. وكل هذا يتطلب تحديث أنظمة الري والبنى التحتية ودعم مشاريع التحلية مع الاستفادة من الطاقة الشمسية. واستعرض بالتفصيل امثلة تطبيقية حول تقنيات تحلية المياه الحالية و افاق استخدامها لتعزيز الاستدامة.

وتناول الأستاذ الدكتور حسين البهادلي (مدير مجموعة الخبراء لتكنولوجيا الطاقة والمعلومات والأتصالات) عن مخاطر التلوث الإشعاعي في العراق، مبينًا أنه يهدد البيئة والصحة العامة, مستعرضا أنواعها وخصائصها الاشعاعية. ثم تناول مسببات التلوث بالاشعاع الذري في العراق نتيجة الحروب كاستخدام اليورانيوم المنضب و قصف المنشئات الذرية المدنية عامي 1991 و2003، مما أدى الى تلوث الهواء والماء والتربة والبيئة بشكل عام هددت الامن الغذائي. وتناول بعدها طرق المعالجات المتاحة التي تتميز بكلفتها العالية ومحدودية فاعليتها وأشار الى الدور المتزايد الذي تلعبه التقنيات الحديثة مثل النانو والذكاء الاصطناعي على تحسينها. وأكد على مخاطر النشاط الاشعاعي في العراق الذي في تقديره غير مهيأ حاليا لبناء مفاعلات نووية كمصدر للطاقة الكهربائية والأعتماد على بدائل اخرى مثل الطاقة المتجددة لتحقيق الاستدامة وضمان السلامة.

وشهدت المناقشات والمداخلات تركيزًا على توظيف التقنيات الحديثة لمعالجة تحديات المياه في العراق وتبني حلول نوعية لمواجهة التلوث البيئي، الذي بات يشكل خطرًا متزايدًا على الصحة والأمن الوطني انعكست في القرارات والتوصيات التي تناولت محاور عدة منها متطلبات دعم وزارة البيئة الرقابي واتباع الإدارة التكاملية الاتحادية في التعامل مع الملف المائي وتحديث وتفعيل إدارة الدبلوماسية المائية والتأكيد على أهمية المؤسسات التشريعية والقضائية في اعتماد الحلول المستدامة منها اقتصاديات المياه الدائري واستخدام الطاقة الشمسية.

ومن التوصيات أيضا إنشاء منظومة وطنية حديثة لمراقبة جودة المياه ودرجة النشاط الاشعاعي وتنظيم حملات التوعية البيئية. ■

جانب من تكريم الأكاديميين والخبراء والعلماء

*خبيرة في هندسة البيئة وهندسة الطاقة المتجددة

- مؤسسة ورئيسة جمعية البيئة والصحة العراقية- المملكة المتحدة.

- المركز العراقي لهندسة الطاقة المتجددة و التغير المناخي.

- منظمة ورئيسة المؤتمر الدولي العلمي التاسع عشر لجمعية البيئة والصحة العراقية- المملكة المتحدة

ديناميكيات التكيّف الأسري

مع دخول مولود جديد

كيف تتشكّل استجابات الطفل الأكبر بين القلق والتأقلم؟

تخصيص وقت للأخ الأكبر مع مراعاة احتياجاته أمر أساسي

الرياض: رنا خير الدين*

مع ولادة طفل جديد، لا تدخل العائلة مرحلة جديدة فحسب، بل يُعاد تشكيل عالم الطفل الأكبر بالكامل. في ظاهر المشهد، يبدو كل شيء مغموراً بالفرح والاحتفاء، لكن في داخل هذا الطفل الصغير، تدور مشاعر معقدة يصعب عليه أحياناً فهمها أو التعبير عنها. فالأخ الأكبر، الذي كان حتى وقت قريب محور الاهتمام والرعاية، يجد نفسه فجأة أمام واقع مختلف، تتقاسم فيه الأضواء مع وافد جديد يستحوذ بطبيعته على الوقت والاهتمام. هنا، تتسلّل مشاعر الغيرة، والارتباك، وربما الخوف من فقدان مكانته، ليس بوصفها سلوكيات سلبية، بل كردود فعل إنسانية طبيعية على تغير كبير يفوق قدرته على الاستيعاب.

هذا التحوّل لا يمرّ بصمت، بل ينعكس في تفاصيل يومية صغيرة: في نبرة صوته، في طلبه المتكرر للاهتمام، في سلوكيات قد تبدو للوهلة الأولى مفاجئة أو غير معتادة، كالتشبث الزائد، أو العودة إلى عادات سابقة، أو حتى التعبير عن الغضب بطرق غير مباشرة. إنها لغة غير منطوقة، يحاول من خلالها أن يقول: «هل ما زلت مهماً؟ هل ما زال مكاني محفوظاً؟».

في هذا التقرير، سيكون لنا حديث مع أخصائية العلاج النفسي منى شهلا قدّمت فيه طرق مناسبة للتعامل مع الأخ الأكبر ومساعدة الأهل لفهم التقلّبات المزاجية والتصرفات الغريبة التي قد تظهر في هذه المرحلة، من خلال مجموعة من النصائح العملية، لمساعدة الطفل الأكبر على التكيّف بسلاسة مع التغيرات الجديدة، دون أن يشعر بفقدان الأمان أو الاهتمام.

كيف يعيش الطفل الأكبر قدوم شقيق جديد؟

في لحظة واحدة، يتبدّل عالم الطفل الأكبر دون مقدمات كافية. ذلك المكان الذي كان يتوسطه بكل عفويته، يتحول فجأة إلى مساحة مشتركة، ويصبح الاهتمام الذي كان يتدفق نحوه وحده، موزّعاً بينه وبين كائن صغير لا يدرك بعد ماهيته.

قد يبدو المشهد عادياً للكبار، لكنه بالنسبة للطفل تجربة عاطفية معقّدة، تختلط فيها مشاعر الحب بالغيرة، والفضول بالارتباك. ومع هذا التحوّل، تبدأ رحلة نفسية دقيقة، لا يعيشها الطفل وحده، بل يخوضها الأهل أيضاً، محاولين تحقيق توازن هش بين احتياجات طفلين في آنٍ واحد.

حيث تقول الأخصائية منى شهلا أن الطفل يفسّر هذا الحدث بطريقة متمركزة حول ذاته وفق Jean Piaget، فيعتقد أحياناً أنه فقد مكانته. وقد تظهر أيضاً سلوكيات تراجعية كوسيلة غير واعية لجذب الانتباه واستعادة الشعور بالأمان. وفي الوقت نفسه، يعيش الطفل مشاعر مختلطة، حيث قد يجمع بين الحب والفضول تجاه المولود الجديد وبين الغضب أو الرفض، وهذا كله يُعدّ طبيعياً ضمن النمو النفسي.

نظرية بياجيه والتوازن المعرفي

من هذا المنطلق لا بدّ من المرور على نظرية جان بياجيه لفهم أعمق لمرحلة التعلّق، الأمان والتغيير التي يمرّ بها الطفل أو الأخ الأكبر حيث تقدّم نظرية بياجيه قراءة عميقة لكيفية إدراك الطفل الأكبر للتغيّرات التي ترافق قدوم مولود جديد، انطلاقاً من تطوّره المعرفي لا من مشاعره فقط. فبحسب ما يطرحه أحد أبرز روّاد علم النفس النمائي، يمرّ الطفل في سنواته الأولى بمرحلة يتمحور فيها تفكيره حول ذاته، ما يجعله يفسّر انشغال الأم بالرضيع على أنه تحوّل في مكانته أو تراجع في مستوى الاهتمام الذي يحظى به.

يرتبط هذا التفسير بما يسمّيه بياجيه «التوازن المعرفي»، حيث يعتمد الطفل على روتين ثابت يمنحه الإحساس بالأمان والاستقرار. ومع أي تغيير مفاجئ داخل الأسرة، كدخول مولود جديد، يختل هذا التوازن، فيجد الطفل نفسه أمام واقع جديد يحاول فهمه بطريقته الخاصة. وقد يسعى إلى استيعاب هذا التغيير من خلال إسقاطه على خبراته السابقة، أو عبر تعديل فهمه للعلاقات داخل الأسرة بما يتلاءم مع المعطيات الجديدة.

ضمن هذا الإطار، لا يُنظر إلى سلوكيات الطفل الأكبر «كالغيرة أو التراجع السلوكي» بوصفها ردود فعل عاطفية فحسب، بل كجزء من عملية ذهنية معقّدة يسعى من خلالها إلى إعادة تنظيم عالمه الداخلي. فالأمان بالنسبة إليه ليس شعوراً مجرداً، بل هو نتاج بيئة يمكن التنبؤ بها، وعلاقات ثابتة تمنحه الإحساس بالاستمرارية.

في مقابل هذا الطرح المعرفي، تسهم نظرية التعلّق التي طوّرها John Bowlby في استكمال الصورة، إذ تركّز على البعد العاطفي لعلاقة الطفل بمقدّم الرعاية. وبين هذين المنظورين، يتّضح أن الطفل الأكبر لا يواجه مجرد تغيير عائلي، بل يعيش تجربة إعادة تشكيل لفهمه لذاته ومكانته داخل الأسرة.

بين الدلال والعدل كيف يوازن الأهل في التربية

لتحقيق التوازن بين الدلال والعدل، تقول شهلا: من المهم أن يفرّق الأهل بين العدل والمساواة؛ أي تلبية احتياجات كل طفل حسب عمره. مثلًا، من الطبيعي أن يأخذ المولود الجديد وقتاً أكبر، لكن بالمقابل يمكن تخصيص وقت خاص للطفل الأكبر (حتى لو 10 دقائق لعب أو حديث). كما يمكن إشراكه بطريقة إيجابية، مثل مساعدته باختيار ملابس الرضيع أو إحضار شيء بسيط، مع تجنّب تحميله مسؤوليات كبيرة. وبحسب نظرية التعلّق، هذا يعزّز شعوره بالأمان. أيضاً، من المهم تجنّب المقارنة بين الأطفال (مثل: انظر إلى أخيك فهو أكثر هدوءاً منك)، واستبدالها بتعزيز إيجابي (مثل: أنا فخورة بك لأنك تساعدني)، بهذه الطريقة يشعر الطفل الأكبر أن مكانته محفوظة، وأن حبّ الأهل لم يتغيّر تجاهه، مما يخفّف الغيرة بين الإخوة، خاصة مع قدوم مولود جديد، تُعتبر في الأساس مرحلة طبيعية ضمن النمو النفسي، وهي مرتبطة بمحاولة الطفل حماية علاقته ومكانته مع الأهل. وفقاً لنظرية التعلّق، هذه المشاعر تعكس حاجة الطفل للشعور بالأمان وليس سلوكاً سيئاً بحدّ ذاته. لكن الحدّ الفاصل بين الطبيعي والحاجة لتدخل تربوي يظهر من خلال الشدة والاستمرارية والتأثير على السلوك. فإذا كانت الغيرة تظهر بشكل خفيف أو مؤقت (مثل زعل، طلب اهتمام إضافي، أو بعض السلوكيات البسيطة)، فهي طبيعية ويمكن احتواؤها بالدعم والاهتمام. أما إذا أصبحت شديدة أو مستمرة، مثل: عدوانية متكررة تجاه الطفل الآخر، تراجع كبير في السلوك (Regression)، أو انسحاب واضح وحزن مستمر، فهنا تحتاج لتدخل تربوي أكثر وعياً، وربما متابعة مختص. بالتالي، الغيرة بحد ذاتها طبيعية، لكن طريقة التعبير عنها ومدى تأثيرها هي التي تحدّد إن كانت ضمن المسار الطبيعي أو بحاجة لتدخل».

أخصائية العلاج النفسي منى شهلا

ويساعده يتقبّل الوضع الجديد بشكل صحي.

الغيرة مرحلة طبيعية أم إشارة تحتاج تدخل تربوي؟

تُعدّ الغيرة من أبرز ردود الفعل التي تظهر لدى الطفل الأكبر، وهي في جوهرها انعكاس لخوف داخلي من فقدان الحب أو المكانة. علمياً، تندرج هذه المشاعر ضمن الاستجابات الطبيعية، ما دامت مؤقتة وغير حادة. إلا أن تجاهلها أو قمعها قد يؤدي إلى تفاقمها وتحوّلها إلى سلوكيات أكثر تعقيداً. لذلك، يصبح وعي الأهل بهذه المرحلة ضرورياً لاحتواء الطفل بدل الحكم عليه.

اذ تقول شهلا عن ذلك: «الغيرة تجنب المقارنات بينه وبين أخيه الرضيع

دور الأخ الأكبر عاطفياً وسلوكياً

من أبرز الطرق الفعّالة التي تساعد الأخ الأكبر على التكيّف والتأقلم مع الوضع الجديد، بحسب أخصائية العلاج النفسي، هو إشراكه بطريقة صحيّة يعني إعطاءه دوراً رمزياً ومناسباً لعمره يشعره بالأهمية دون أن يتحوّل لمسؤولية ضاغطة.

تتابع شهلا قائلة: «من المهم أيضاً إعطاؤه خيار المشاركة، وليس فرضها عليه، حتى لا يشعر بالإجبار. فبحسب نظرية التعلّق، هذا النوع من الإشراك يعزّز شعوره بالأمان والانتماء. كما يُفضّل دعم الطفل بكلمات تقدير واضحة مثل: وجودك مهم لنا، أو أنا فخورة فيك، بدل ربط دوره بواجبات كبيرة. في نفس الوقت، يجب الحفاظ على وقت خاص له وحده مع الأهل، ليبقى إحساسه بمكانته ثابت. بهذه الطريقة، يشعر الطفل أنه شريك محبوب، وليس بديلاً عن الأهل أو مسؤولاً عن أخيه».

سلوكيات تدق ناقوس الخطر

الطفل غالباً لا يعبّر بالكلام المباشر، بل من خلال سلوكيات مثل: زيادة التعلّق بالأم، نوبات غضب متكررة، رفض مفاجئ للتعاون، مشاكل في النوم أو الأكل، أو عودة لسلوكيات أصغر سناً مثل التصرّف كطفل أصغر. أحياناً قد يتجاهل المولود تماماً أو يظهر عكس مشاعره كالمبالغة بالحب. هذه كلّها إشارات غير مباشرة تعبّر عن عدم تقبّل أو

مرحلة التقبل تمر بتغيرات سلوكية عديدة.

صعوبة في التكيّف، وليست سوء سلوك بحدّ ذاته بل رسالة بحاجة لفهم واحتواء، خاصة ضمن إطار نظرية التعلّق.

اذ تقول منى شهلا عن ذلك: «ألاحظ أحياناً عند بعض الأطفال سلوكيات قد تستدعي الانتباه والمتابعة، كالعدوانية المتكررة، مثل محاولة ضرب الرضيع أو إيذاء من حوله بشكل متعمد، أو من خلال تراجع في بعض المهارات التي كان قد اكتسبها سابقًا كالتبول اللاإرادي أو طلب سلوكيات طفولية أقل من عمره. كما قد يُلاحظ الأهل انسحاباً واضحاً من اللعب أو التفاعل الاجتماعي، وكأنه يفضّل العزلة بشكل غير معتاد، إلى جانب نوبات غضب شديدة ومتكررة يصعب تهدئتها وتستمر لفترات أطول من المعتاد. وفي بعض الحالات، يظهر اضطراب في النوم أو الشهية، مثل الأرق أو الكوابيس أو رفض الطعام بشكل ملحوظ، كلّ هذه السلوكيات يجب متابعتها بدقة».

وتشير شهلا أن هذه السلوكيات قد تمتد أحياناً إلى تعلّق مفرط بالأم ورفض الانفصال عنها، أو ظهور قلق واضح عند ابتعادها. كما يمكن أن يقوم الطفل بسلوكيات تهدف لجذب الانتباه، حتى لو كانت مؤذية لنفسه بشكل بسيط. كذلك قد تبرز عليه علامات حزن أو قلق مستمر، مثل بكاء متكرر أو فقدان الاهتمام بالأشياء التي كان يحبها سابقاً.

وفي حالة استمرار هذه السلوكيات فترة طويلة تؤكد شهلا على ضرورة الحصول على استشارة خاصة من أخصائي نفسي للأطفال. فإن لم تُعالج مبكراً قد تمتد آثارها لوقت طويل لتؤثر في تكوين شخصية الطفل على المدى الطويل. فالتعامل الواعي مع هذه المرحلة يمكن أن يعزّز لديه مهارات التعاطف والمسؤولية، بينما قد يؤدي الإهمال إلى مشاعر دفينة تؤثر على ثقته بنفسه وعلاقاته المستقبلية. من هنا، تبرز أهمية هذه المرحلة كنقطة مفصلية في رحلة النمو النفسي والاجتماعي.

اختبار التوازن الصعب

لا تقل هذه المرحلة تعقيداً بالنسبة للأهل، الذين يجدون أنفسهم أمام اختبار يومي يتطلب حساسية عالية. فالموازنة بين تلبية احتياجات المولود الجديد والحفاظ على استقرار الطفل الأكبر ليست مهمة سهلة. ومن الأخطاء الشائعة إهمال مشاعر الطفل الأكبر أو مطالبته "بأن يكون كبيراً" قبل أوانه. في المقابل، تؤكد التوصيات التربوية أهمية إشراكه في تفاصيل الحياة الجديدة، ومنحه دوراً يشعره بقيمته داخل الأسرة.

كيف نحوّل التحدي إلى فرصة؟

رغم حساسية المرحلة، يمكن تحويلها إلى فرصة لتعزيز النمو العاطفي لدى الطفل، حيث تشير شهلا على ضرورة تهيئة الأخ الأكبر مسبقاً لفكرة المولود الجديد، مروراً بالحفاظ على روتين يومي يمنحه الشعور بالاستقرار، ووصولاً إلى تخصيص وقت خاص له بعيداً عن أي مقاطعة. كما أن استخدام لغة إيجابية تعزّز مفهوم الأخ الأكبر يساعد في إعادة بناء صورته الذاتية بطريقة صحية ومتوازنة.

إيجابيات التفاصيل الصغيرة

في المحصلة، لا تعكس هذه السلوكيات بالضرورة مشكلة دائمة بقدر ما تعبّر عن مرحلة انتقالية حسّاسة يعيد فيها الطفل الأكبر ترتيب موقعه داخل الأسرة. وتُظهر الخبرات التربوية أن العامل الحاسم في تجاوز هذه المرحلة هو «ثبات العلاقة» مع الطفل، أي الحفاظ على تواصل يومي ثابت معه ولو لفترات قصيرة لكنها منتظمة، بما يرسّخ لديه شعوراً بأن حضوره لم يتغيّر رغم تغيّر ظروف العائلة.

كما أن إشراك الطفل في تفاصيل بسيطة تتعلق بالرضيع، يساعده على الانتقال من موقع المنافسة إلى موقع المشاركة، وهو ما يخفف التوتر الداخلي ويعزّز الإحساس بالانتماء.

ومع الاستجابة الهادئة والمتوازنة لمشاعر الطفل، غالبًا ما تتحول هذه المرحلة إلى نقطة نضج مهمّة في شخصيته، حيث يكتسب مرونة أكبر في التكيّف، وقدرة أفضل على التعبير عن احتياجاته، وفهماً أعمق لمفهوم المشاركة داخل الأسرة. ■

* كاتبة وصحافية

الموازنة بين تلبية احتياجات المولود الجديد والحفاظ على استقرار الطفل الأكبر ليست مهمة سهلة ومن الأخطاء الشائعة إهمال مشاعر الطفل الأكبر أو مطالبته «بأن يكون كبيراً» قبل أوانه

ليندا نصار*

الشاعر وحرب الألم: حين تتحوّل الكلمة إلى فعل مقاومة

في زمنٍ تتسارع فيه هيمنة التكنولوجيا ويتعاظم دور الذكاء الاصطناعي في تسهيل الحياة البشرية، تبدو المفارقة صارخة أمام مشاهد الدمار التي تعصف بالإنسان. فبينما تُرفع شعارات العدالة والقيم الإنسانية، تستمر الحروب في إنتاج الألم، لا كحالة عابرة، بل كواقع يومي يهدد جوهر الإنسان نفسه. وهنا يبرز سؤال جوهري: من ينتشل الإنسان من هذا السقوط البطيء نحو فقدان المعنى؟

في قلب هذا المشهد، يقف الشاعر بوصفه شاهدًا لا يكتفي بالمراقبة، بل يغوص في عمق التجربة الإنسانية، حيث يتحوّل الألم إلى مادة إبداعية. غير أن هذا الألم لا يمرّ من دون أن يترك أثرًا، فهو بقدر ما يهدد الشاعر بالانكسار، بقدر ما يمنحه القدرة على التعبير. إنها مفارقة "حرب الألم" التي يخوضها الشاعر: صراع داخلي بين الانهيار والخلق.

بهذا المعنى، إذا عدنا إلى الأدب العالمي، نجد في رواية المسخ للكاتب فرانز كافكا نموذجًا صارخًا لهذا التحول. فالبطل الذي يستيقظ ليجد نفسه قد تحوّل إلى كائن غير إنساني (حشرة كبيرة/مسخ)، ما يجسّد انهيار الهوية تحت وطأة واقع لا يحتمل. حين أفاق «غريغور» ذات صباح من أحلام مزعجة، وجد نفسه وقد تحوّل في فراشه إلى حشرة ضخمة. «إلّا أنّه "لم يكن ذلك حلمًا» هذا «المسخ» ليس بعيدًا عمّا تفعله الحروب اليوم، إذ لا تكتفي بتدمير الجسد، بل تمتد لتشوّه الداخل الإنساني، فتسلبه حسّه الأخلاقي وقدرته على التعاطف مع أخيه الإنسان... كلّ هذا التّشوّه والقبح الأخلاقيّ، ليس حلمًا بل واقعًا ملموسًا، وحقيقة نتألّم لمواجهتها.

وإذا كان الأدب الحديث قد صوّر هذا التشوّه النفسي، فإن الأدب القديم لم يكن أقل حضورًا في توثيق العنف. ففي ملحمة الإلياذة الّتي نسبت إلى هوميروس، تتجلى الحرب بوصفها ساحة لصناعة الأبطال، لكنها في الوقت ذاته فضاء للدمار والمعاناة. هناك، يتحوّل الإنسان إلى أداة قتل، وتختزل القيم في منطق القوة، بينما تهمّش الأرواح التي تُسحق في طريق المجد الزائف.

أمّا بالنّسبة إلى الشعراء، عبر العصور، فإنّنا ننتبه إلى أنّهم لم يكونوا مجرد ناقلين لهذه الوقائع، بل صاغوا منها رؤى إنسانية عميقة. بعضهم شارك في الحروب، والبعض الآخر نقل من قلب المعركة صورًا صادمة عن عبثية الحرب وقسوتها. كما أنّ هناك من كتب من خارج الحدث، لكنه حمل آثاره في وجدانه، محاولًا فهمه وتفكيك بنيته الخفيّة. فالحرب بالنسبة إلى هؤلاء الشعراء ليست بمعناها الظاهري، بل هي تجربة وجودية تطرح سؤال الإنسان ومصيره المحكوم بثنائية الخير والشر. من هنا تتنوّع الصّور في الكتابة وكأنّ الشعر إعادة تأويل الخراب في أزمنة متعددة ومختلفة.

إذًا الشعر، في هذا المجال، لا يقتصر على كونه انعكاسًا للمعاناة، بل يتحوّل إلى أداة مقاومة. فهو يعيد تشكيل الألم، ويمنحه معنى، ويخرجه من دائرة الصمت إلى فضاء التعبير. قد يزيد الشعر من حدة الحزن، لكنه في الوقت ذاته يفتح باب الوعي، ويمنح الإنسان قدرة على مواجهة جراحه بدلًا من الهروب منها.

وهكذا، يصبح الشاعر في مواجهة مزدوجة: مع العالم الذي ينهار، ومع ذاته التي تحاول ألا تنكسر. ومن خلال هذه المواجهة، تتولد القصيدة بوصفها فعل شفاء طويل، لا يلغي الألم والشّقاء الإنسانيّ، بل يروّضه ويعيد توجيهه لعلّه يسير متمسكًا ببوصلة الحياة.

في هذا الإطار، يمكنني أن أقول إن الشعر ليس ترفًا في زمن الحروب، بل ضرورة إنسانية. إنه الذاكرة التي تحفظ ما يراد له أن ينسى، والصوت الذي يرفض الصمت، واللمسة التي، على الرغم من هشاشتها، تظل قادرة على ترميم ما تهدّم في الداخل.

من هنا ينبثق السّؤال: كيف نحيا في بلاد الحرب؟ قد تكون الإجابة مناسبة للتّعبير عن الذّات، في هذا النّصّ الّذي كتبته إثر الاعتداء الوحشيّ الإسرائيليّ على بيروت في عمليّة أطلقت عليها «عمليّة الظّلام الأبدي»، وذلك يوم الأربعاء الأسود في 8 أبريل 2026:

كيف تحيا في بلاد الحرب،
وأنتَ معلّق على قارعة الوقت الأخيرة؟
نصفك يطلّ من شرفة الدخان،
ونصفك الآخر يلوذ بالحبر.
كأنك لست هنا تمامًا،
أشياؤك تلمع تحت الركام،
وتناديك من غيابها.
كيف تحيا
وأنتَ تدرّب حواسك على عدّ العابرين
تختبئ منك، ولا نجاة...

أعود إلى أسئلة كثيرة تستحضرني حين أفكّر في جدوى الكتابة، وخصوصًا الشّعر في فترات الحرب الّتي لم تبارح الإنسانيّة يومًا... من أين يأتي الشّعر ولماذا نكتب؟ وماذا نسمّي هذا الاندفاع نحو الحبر وسط المعاناة؟

أكتب عن طفل سألني: لماذا الحرب؟
عن روائح الدم، عن الأرواح المظلومة،
سأكتب.. ولن تجدوا في كتابتي نفعًا حتى الكلمات صارت أشباحًا ترفرف في الفراغ... فما جدوى الكتابة؟ وما جدوى الحرب؟

قد يأتي الشّعر من حيث لا ندري ليكون رفيقنا في الخسارة والنّصر، أو ليحمل متناقضات مكوّنة من ثنائيّات الحياة التي تختزل الألم والنّهوض، ليبني الشّاعر حالات من التّخطّي ويتجاوز المأساة، أو ليخلق ذاتًا أخرى يوثّق من خلالها علاقته بالكون .هكذا ينطلق الشّعر بالإنسان في رحلة يعيد فيها ترتيب داخله ليتجاوز الألم، مرمّمًا ما تهدّم، وهو فعل نضال في مواجهة من فقد إنسانيّته.

يبقى الشعر فعلًا نواصل به البقاء، وهو المرتهن بقوّة خفيّة تنبثق من بذور الأمل في لحظات الظلام الحالك، ويبقى الشّعر الكلمة التي تتحوّل إلى مقاومة في حرب الألم. ■

*كاتبة، شاعرة وناقدة لبنانية

مع إعلان رحيله عن ليفربول بنهاية الموسم بدأ النقاش حول جدارة النجم المصري في تصدر قائمة الأفضل

هل صلاح هو المحترف الأكثر تأثيراً في تاريخ الدوري الإنجليزي؟

لندن: هاني عبيد*

مع إعلان محمد صلاح الرحيل عن ليفربول بنهاية الموسم هذا الصيف، بدأ النقاش الجدلي حول تأثير الجناح المصري كواحد من أعظم اللاعبين الذين مروا على الدوري الإنجليزي الممتاز، بل ربما يكون الأفضل بين المحترفين الأجانب على الإطلاق.

لقد وضع جمهور ليفربول والعديد من النقاد البريطانيين صلاح في المركز الأول بقائمة أفضل لاعبي الدوري الإنجليزي على مر التاريخ، متفوقًا على واين روني، والبلجيكي كيفن دي بروين، وريان غيغز، والبرتغالي كريستيانو رونالدو، وحتى الاسطورة الفرنسي تييري هنري، لكن بالطبع مثل هذه القوائم والاختيارات تخضع دائمًا للإنحياز طالما من جانب واحد وليس من منظومة دولية أو رسمية.

لقد حقق صلاح نجاحًا باهرًا على المستويين الفردي والجماعي على مدار 9 سنوات مع ليفربول وارتقى بمستواه إلى آفاق جديدة، ليُصبح محركًا أساسيًا للفريق، بل وكان العنصر الحاسم الذي أعاد ليفربول للمجد والالقاب بعد 30 سنة عجاف.

خاض صلاح مع ليفربول ما يزيد عن 338 مباراة في الدوري و437 بجميع المسابقات حتى منتصف ابريل 2026، سجل فيها 256 هدفًا، وخلال تلك الفترة، لم يغب المهاجم المصري إلا عن 25 مباراة فقط، من بينها 19 بسبب مشاركته مع منتخب مصر في كأس الأمم الأفريقية. إجمالًا، غاب صلاح عن ست مباريات فقط مع ليفربول في تسع سنوات بسبب الإصابة.

وإذا كانت المقارنات مع نجوم أساطير في أندية أخرى معيار لا يمكن الأخذ به إلا من خلال إحصائيات رسمية من منظمات وإتحادات دولية، إلا أن صلاح بلا جدال سيرحل عن ليفربول وهو أحد أعظم لاعبي هذا النادي على مر العصور، وبحصيله تضعه ثالث أفضل هدافي الفريق عبر تاريخ ليفربول.

الذين يرون أن صلاح يستحق أن يتصدر قائمة أفضل محترف أجنبي في تاريخ الدوري الإنجليزي، يعللون ذلك بدوره الكبير في نهضة فريق كان متعثراً لسنوات طويلة، على عكس الأسماء الكبيرة الأخرى التي كانت إضافة لتشكيلات قوية بفرقها التي تحقق نجاحات على المستويين المحلي والقاري.

لقد وصل صلاح إلى ليفربول عندما كان النادي يقترب من مرور 30 عامًا على فوزه بآخر لقب للدوري في عام 1990، وبعد أن كان قد فاز بلقب واحد فقط (كأس الرابطة عام 2012) خلال 10 سنوات كاملة. لقد ساهم صلاح في قيادة ليفربول نحو المجد، بينما كان نجوم أمثال هنري وروونالدو ودي بروين وروني يشاركون مع أندية تحقق النجاح بالفعل.

كان صلاح مصدر إلهام لليفربول خلال مسيرته نحو التتويج بدوري أبطال أوروبا عام 2019، حيث سجل 10 أهداف وصنع 5 أهداف أخرى، ليقود الفريق للفوز بلقب البطولة الأقوى في القارة العجوز للمرة السادسة في تاريخ النادي. كان صلاح أيضًا اللاعب المحوري خلال فوز ليفربول بلقب الدوري الإنجليزي الممتاز مرتين، في موسمي 2019-2020 و2024-2025، لينضم إلى أساطير ليفربول، كيني دالغليش وستيفن جيرارد، بقائمة أعظم لاعبي النادي على مر التاريخ.

كما هو الحال مع هنري، سجل صلاح 20 هدفًا في موسم واحد بالدوري الإنجليزي الممتاز خمس مرات، ولم يتفوق عليه في هذا الإنجاز سوى شيرار وهاري كين والارجنتيني سيرجيو أغويرو. كما يعد صلاح اللاعب الوحيد الذي فاز بجائزتي أفضل لاعب في العالم من رابطة اللاعبين المحترفين ورابطة كتاب كرة القدم الإنجليزية ثلاث مرات. سيرحل صلاح بعد أن تذوق الفوز بكل البطولات الكبرى مع ليفربول مرة واحدة على الأقل، وبمسيرة حافظ فيها على أفضل مستوياته لما يقارب عقدًا من الزمن، منذ قدومه من روما صيف 2017.

يُعتبر هنري، في نظر الكثيرين، أعظم لاعب في تاريخ أرسنال، حيث فاز بلقبين في الدوري الإنجليزي الممتاز وثلاثة ألقاب في كأس الاتحاد الإنجليزي مع أرسنال، الذي لعب معه خلال الفترة بين عامي 1999 و2007.

وسجل اللاعب الفرنسي، الذي لعب أيضاً لموناكو ويوفنتوس وبرشلونة، 175 هدفاً في الدوري الإنجليزي الممتاز، ويحتل المركز الثامن في قائمة الهدافين التاريخيين للمسابقة.

فاز هنري بجائزة الحذاء الذهبي للدوري الإنجليزي الممتاز أربع مرات، وهو رقم قياسي، وجائزة أفضل لاعب في العام من رابطة اللاعبين المحترفين مرتين، ويحمل الرقم القياسي لأكبر عدد من التمريرات الحاسمة في موسم واحد (20 تمريرة) بالتساوي مع لاعب خط وسط منشستر سيتي السابق كيفن دي بروين.

ويعد البلجيكي دي بروين الذي حقق 16 لقبًا كبيرًا، من بينها ستة ألقاب في الدوري ولقب لدوري أبطال أوروبا إسطورة مانشستر سيتي خلال حقبتي المدربين مانويل بيليغريني، ثم جوسيب غواردیولا.

قدم دي بروين 119 تمريرة حاسمة في الدوري الإنجليزي الممتاز، ولا يتفوق عليه سوى غيغز (162 تمريرة حاسمة)، كما يتقاسم الرقم القياسي لأكبر عدد من التمريرات الحاسمة في موسم واحد مع هنري (20 تمريرة حاسمة). وسجل أيضًا 72هدفًا رغم أنه لاعب خط وسط، منها 15 هدفًا في موسم 2021-2022 وحده. لكن مشاكل الإصابات خلال فترة وجوده مع مانشستر سيتي حرمته من لقب أفضل لاعب في تاريخ الدوري. ففي 10 مواسم، شارك دي بروين في 285 مباراة في الدوري الإنجليزي الممتاز مع مانشستر سيتي، وغاب عن ما يقرب من 100 مباراة خلال تلك الفترة، أي ما يعادل موسمين ونصف.

وتعود عظمة غيغز إلى قدرته على الاستمرار في تقديم مستويات مبهرة على مدار عقدين من الزمن، مُحرزًا العديد من الألقاب والبطولات مع مانشستر يونايتد، ومتطورًا من جناحٍ شاب إلى لاعب خط وسط مُبدعٍ.

كما كان رونالدو يتمتع بلياقة بدنية مماثلة خلال فترته الأولى مع مانشستر يونايتد بين عامي 2003 و2009، حيث غاب عن ثماني مباريات فقط بسبب الإصابة خلال تلك السنوات الست. لقد كان رونالدو بلا شك ظاهرةً خلال الحقبة الأولى له مع يونايتد، وفاز بجميع الألقاب والبطولات الكبرى مرة واحدة على الأقل، وكان يُعتبر اللاعب الأهم في فريق السير أليكس فيرغسون عندما حقق ثلاثة ألقاب دوري متتالية بين عامي 2007 و2009، لكن رونالدو سجل أقل من 100هدف في تلك الفترة الأولى، وكان تأثيره الحقيقي مقتصرًا على ثلاثة مواسم فقط.

ومع المقارنة مع هؤلاء النجوم تبدو أحقية صلاح في صدارة قائمة نجوم الدوري الإنجليزي نقطة تستحق الدراسة كونه الأكثر إستمرارية على مستوى أداء رائع.

قبل وصول صلاح كان نادي ليفربول يفتخر بإرثه القديم وماضيه أكثر من حاضره ومستقبله. وكانت أصداء كيني دالغليش وستيفي هايواي لا تزال تتردد في أرجاء ملعب آنفيلد، بحضورهما الطاغي. لقد ترك كل من أيان راش وروودي فاولر وستفين جيرارد بصماتهم على تلك القلوب المفعمة بالأمل، لكن النادي فشل في تحقيق بطولة الدوري على مدار 30 سنة حتى جاء النجم المصري ليحول النفق المظلم الى شعلة تضيء النادي بل والمدينة.

كان صلاح هو الشرارة التي أشعلت الحماس من جديد في نادي ليفربول، وتأثيره على أرض الملعب كان فوريًا ومذهلًا. حطم الرقم القياسي للأهداف في موسمه الاول (2017-2018) مسجلاً 32 هدفًا من 38 مباراة في الدوري. وواصل المهاجم المصري تسجيل الأهداف بغزارة، محطما العديد من الأرقام القياسية، وقاد النادي للحصول على العديد من البطولات والألقاب.

وإلى جانب تألقه، منح صلاح الفريق الثقة. وإلى جانب النجاح، أعاد إلى النادي هويته.

لطالما كان يتم ذكر ليفربول في السنوات التي سبقت حضور صلاح بمواقفه السلبية، بعد الإخفاق في نهائي دوري أبطال أوروبا عام 2007، والحرب النفسية التافهة ضد السير أليكس فيرغسون، وانزلاقة جيرارد الشهيرة التي تسببت في ضياع بطولة.

لكن فور وصول صلاح، لم تكن هناك حاجة للغوص في أمجاد الماضي، فقد بُنيت أمجاد جديدة: ثلاث نهائيات في دوري أبطال أوروبا، وميداليتان ذهبيتان، ولقبان في الدوري الإنجليزي الممتاز – منهيًا بذلك انتظارًا دام ثلاثة عقود للعودة إلى عرش كرة القدم الإنجليزية، بالإضافة إلى سلسلة من الألقاب الأخرى.

لطالما امتدت العلاقة بين صلاح وليفربول إلى ما هو أبعد من حدود الملعب. وصل صلاح إلى ليفربول كنجم مسلم بارز. وفي ليفربول، كانت هتافات المشجعين تحمل إشارات عابرة إلى دينه بطريقة بدت شاملةً لا تنمّ عن التهميش، فكان الجمهور يغني: «إذا سجّل المزيد من الأهداف، فسأصبح مسلماً مثله». قد لا يكون هذا التعبير سليمًا من الناحية الدينية، لكنه كان لافتًا من الناحية السياسية. وكان هناك تطبيع لممارساته؛ صيامه في رمضان، وسجوده بعد تسجيل الأهداف، وتحدثه بصراحة وهدوء عن معتقداته وقناعاته. وها هي زوجته ترتدي الحجاب، وموقفه واضح لا لبس فيه تجاه غزة.

لم يُعامل صلاح كغريبٍ تفوّق صدفةً، بل رُحّب به كواحدٍ من أبناء ليفربول، وخصّته الجماهير بأغاني بإسمة ستظل خالده بالوجدان . ■

* صحافي وناقد رياضي

سجل صلاح مع 256 هدفًا خلال مسيرته مع ليفربول

صلاح سيرحل عن ليفربول متوجاً بكل الألقاب والجوائز الفردية الممكنة.

فريق مركز الحفريات مع رئيس جامعة المنصوره

أسرة العندليب مع الملك السابق أحمد فؤاد الثاني

البشر في طريقهم إلى القمر للمرة الأولى منذ أكثر من 50 عاماً

■ انطلق أربعة رواد فضاء، في مهمة عالية المخاطر للتحليق حول القمر، في أول رحلة مأهولة من نوعها منذ أكثر من خمسين عاما. وتأتي هذه المهمة كخطوة أولى ضمن برنامج وكالة الفضاء الأمريكية (ناسا) الهادف إلى الهبوط على سطح القمر خلال عامين. وضمت الرحلة ثلاثة رواد أمريكيين وكنديا، فيما أُطلق الصاروخ، الذي يبلغ ارتفاعه نحو 32 طابقا، من مركز كينيدي الفضائي في ولاية فلوريدا، وسط حضور عشرات الآلاف لمتابعة انطلاق هذه المرحلة الجديدة. كما شهدت الطرق والشواطئ المحيطة ازدحاما كبيرا بالحشود، في مشهد أعاد إلى الأذهان رحلات برنامج (بولو) في ستينيات وسبعينيات القرن الماضي.

وتُعد هذه المهمة، بحسب وكالة (أسوشيتد برس)، أكبر خطوة حتى الآن نحو ترسيخ وجود بشري دائم على القمر.

وانطلقت مهمة (أرتميس 2) من الموقع نفسه الذي انطلقت منه رحلات (أبولو) قبل عقود، حيث عبّر عدد من رواد تلك الحقبة الذين ما زالوا على قيد الحياة عن حماسهم لهذه المغامرة الجديدة. وقالت وكالة «ناسا» عبر حسابها على منصة (إكس): للمرة الأولى منذ أكثر من 50 عاماً، البشر في طريقهم إلى القمر.

انطلق صاروخ (نظام الإطلاق الفضائي) (SLS) التابع لـ «ناسا» ومركبة (أوريون) الفضائية من مركز كينيدي للفضاء التابع للوكالة في فلوريدا، مرسلين أربعة رواد فضاء في رحلة تجريبية مخططة للدوران حول القمر والعودة.

مصر: اكتشاف حفرية نادرة لجامعة المنصورة تعود لقرد عمره 18 مليون سنة

■ قامت الدكتوره شروق الاشقر عضو فريق مركز الحفريات الفقاريه بجامعة المنصوره التفاصيل الكامله لبحثها العلمي الجديد باكتشاف حفرية نادرة من سلالة القردة تعود إلى 18 مليون سنه.

وذكرت أن الحفرية رغم اقتصارها على أجزاء من الفك والأسنان، تحمل دلالات علمية مهمة، حيث تكشف عن نظام غذائي مرن يعتمد على الفاكهة مع القدرة على معالجة الأغذية الأكثر صلابة، بما يعكس قدرة مبكرة على التكيف مع البيئات المتغيرة، وهي من السمات الأساسية في نجاح القردة العليا وانتشارها لاحقًا.

واستطردت قائلة. أن الدراسة اعتمدت على تحليل تطوري متكامل، جمع بين البيانات الجزيئية المستمدة من الأنواع الحديثة، والخصائص التشريحية للحفريات، حيث شمل نحو 60 ألف قاعدة وراثية من 67 جينًا نوويًا، و10 جينات ميتوكوندرية، إلى جانب 268 صفة تشريحية للقردة الحديثة والمنقرضة، ما أتاح بناء شجرة تطورية دقيقة، وتحديد الموقع التطوري لهذا النوع الجديد بدرجة عالية من الدقة.

جدير بالذكر أن هذا البحث تم إنجازه بدعم وتمويل مشترك من جامعة المنصورة، وهيئة تمويل العلوم والتكنولوجيا والابتكار (STDF) التابع لوزارة التعليم العالي، ومؤسسة The Leakey Foundation، في إطار دعم البحث العلمي وتعزيز الشراكات الدولية في المشروعات البحثية ذات التأثير العالمي.

وقد استمر الفريق في هذا البحث الميداني عن حفريات القرده العليا في منطقة المغره لأكثر من خمس سنوات.

الملك السابق أحمد فؤاد الثاني في زياره لمنزل عبد الحليم حافظ

■ استقبلت اسرة العندليب الراحل عبد الحليم حافظ يوم الاحد 29 مارس الماضي، الملك السابق أحمد فؤاد الثانى، نجل الملك فاروق الأول، فى زيارة خاصة إلى منزل العندليب الأسمر، وذلك بمناسبة الذكرى الـ49 لوفاته، فى لقاء حمل طابعًا إنسانيًا وتاريخيًا مميزًا.

وقالت الأسرة فى بيان رسمى: (تشرفنا اليوم فى منزل الفنان الراحل عبد الحليم حافظ باستضافة الملك السابق أحمد فؤاد الثاني.. شكرًا على هذه الزيارة الملكية)، فى إشارة إلى الأهمية الرمزية لهذه الزيارة التى تأتى بالتزامن مع ذكرى رحيل العندليب.

وشهدت الزيارة استقبالًا حافلًا من أسرة الفنان الراحل، وكان فى مقدمة المستقبلين محمد شبانة، نجل شقيق عبد الحليم، إلى جانب عبد الحليم الشناوى، حفيد شقيقة العندليب.

الراحله (عليه شبانه) وتؤكد هذه الزيارة المكانة الكبيرة التى ما زال يحتفظ بها عبد الحليم حافظ فى الوجدان المصرى والعربى، حيث تظل ذكراه حاضرة بقوة رغم مرور عقود على رحيله، فيما تحرص أسرته على إحياء هذه المناسبات واستقبال الشخصيات العامة داخل منزله تخليدًا لمسيرته الفنية.

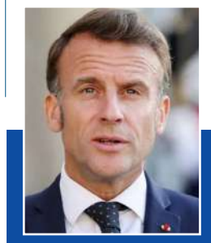

الرئيس الفرنسي ماكرون

فرنسا ترفع مستوى التمثيل الدبلوماسي الفلسطيني إلى رتبة سفارة

■ قامت فرنسا برفع مستوى التمثيل الدبلوماسي الفلسطيني إلى رتبة سفارة، في مبادره تعد خطوة تاريخيه، وقد سبق ان اعلن الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون اعترافه بالدولة الفلسطينية في سبتمبر من عام 2025 قدمت هاله ابو حصيرة أوراق اعتمادها كرئيسة بعثة وسفيرة دولة فلسطين لدى فرنسا إلى رئيس الجمهورية الفرنسية في الإليزيه، الذي قبلها، في خطوة تاريخية تعكس تطور العلاقات الفرنسية الفلسطينية. وتؤكد هذه المراسيم البروتوكولية أن بعثة فلسطين في باريس، الواقعة في الدائرة الخامسة عشرة، أصبحت سفارة كاملة الصلاحيات.

وقد صرحت هالة أبو حصيرة وهي من مواليد غزة، وحاصلة على دبلوم من المدرسة الوطنية للإدارة، لصحيفة (لوموند) الفرنسية قائلة: إنها لحظة تاريخية، وأنا فخورة بشعبي الذي دفع ثمنا باهظا للوصول الى تلك النتائج، وهذه الخطوة تعكس الاعتراف بحقوقه وتضحياته. مع رفع مستوى البعثة الفلسطينية، من المتوقع أن يحصل الطاقم الدبلوماسي على الامتيازات التي يقرها اتفاق فيينا للعلاقات الدبلوماسية 1961، والتي تنظم التفاعلات بين الدول.

الحصاد
أخبار وحكايات:
١- الزعرور - البن - ام الكستنة؟
٢- المركز الرئيسي لمنظمة الصحة العالمية يقع في:
جنيف - نيويورك - ام في باريس؟
٣- هو غير العنب ينبت على شكل عنقود. انه:
اللوار - الدانوب - ام الغارون؟
٤- الزواج والسياسة لا يحتاج فيهما الانسان الى مواهب
٥- دلائل الغباء ثلاثة: العناد والغرور، والتشبث بالرأي
٦- اللحظة الوحيدة التي تصغي فيها المرأة بانتباه الى ما يقوله زوجها هي عندما يتكلم اثناء نومه
٧- من رأى الحق ولم يأخذ جانبه فهو جبان

واحة الحصاد

اختبر معلوماتك

اختر الجواب الصحيح:

١. هو صاحب لقب: «شاعر النيل». انه:
علي محمود طه - حافظ ابراهيم - ام احمد رامي؟
٢. من هي الملكة التي حكمت مصر (٨٠) يوما وماتت قتلا؟
كليوباترا - ام شجرة الدر؟
٣. هو غير العنب ينبت على شكل عنقود. انه:
الزعرور - البن - ام الكستنة؟
٤. المركز الرئيسي لمنظمة الصحة العالمية يقع في:
جنيف - نيويورك - ام في باريس؟
٥. من القائل: «انا افكر اذن انا موجود»
اديسون - باستور - ام ديكارت؟
٦. نهر اوروبي اطلق عليه لقب: «نهر العواصم». انه:
اللوار - الدانوب - ام الغارون؟

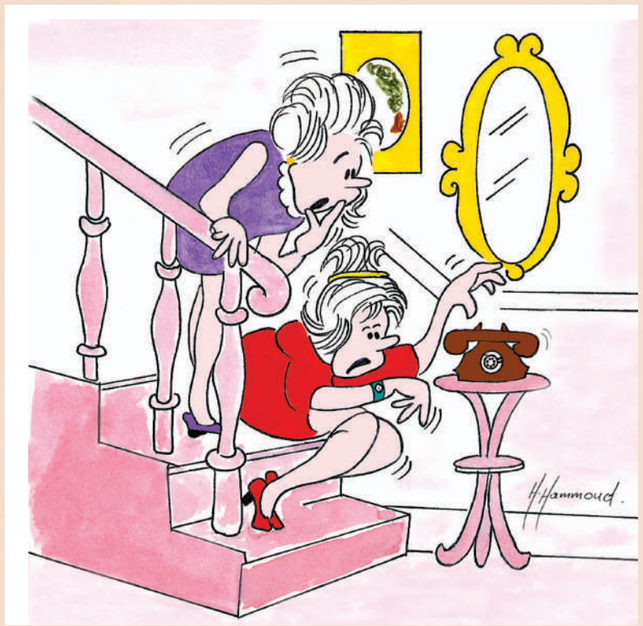

تظاهري بأنك مش مهتمة لما بيتصل..!

بريشة: حسين حمّود

أقوال

- اشقى الرعاة من شقيت به رعيته ..... الامام علي
- كل سائق سيارة يرى ان الابطأ منه مغفل، والاسرع منه مهووس ..... ريمارك
- من خلال أشواك الخطر نحصل على زهور السلام ..... شكسبير
- اكبر نعمة وهبها الخالق لصغار النفوس هي الغرور ..... جون دويه
- قبل ان يتكلم الرجل الحكيم، عليه ان يفكر تماما في ما يقول وفي من يستمع اليه، واين ومتى يتكلم ..... هوميروس
- الزواج والسياسة لا يحتاج فيهما الانسان الى مواهب ..... انيس منصور
- دلائل الغباء ثلاثة: العناد والغرور، والتشبث بالرأي ..... بارتون
- اللحظة الوحيدة التي تصغي فيها المرأة بانتباه الى ما يقوله زوجها هي عندما يتكلم اثناء نومه ..... مارك توين
- من رأى الحق ولم يأخذ جانبه فهو جبان ..... كونفوشيوس

نوادر

كيف يعجبون بالجمال

■ الاميركي: اذا بهره الجمال، توقف عن مضغ «العلكة» وارسل صفيراً يعبّر به عن الاعجاب، وقد لا يتورع عن ان يتقدم للحسناء ويرفع ذقنها الى الاعلى بأصابعه ويتأمل وجهها حتى ولو لم يكن يعرفها.

■ الانكليزي: يظل بارداً في اول الامر، لا يحسّ بالجمال وكأنه صنم، ثم يحملق في صمت، فاغراً فاه ويهتف «يا إلهي.. يا له من جمال..» ويتابع سيره بكل هدوء.

■ الايطالي: يتأمل الحسناء وكأنها لوحة فنية، ثم يرفع اصابعه الى وجهه ممصمصا، دلالة الاعجاب، وقد يجثو على احدى ركبته، مرتلاً قصيدة من الشعر او مترنما باغنية حب.

■ الفرنسي: اذا شاهد الجمال، تهلل وجهه، واشرقت اساريره، وغمزت عيناه، واهتزت ساقاه بالرقص... ثم يرسل قبلة في الهواء ملوحا باطراف اصابعه.

■ العربي: اذا شاهد الجمال او رأى احدى الحسناوات، يزيد من ميل طربوشه على جبينه حتى يغطي حاجبيه، ويمسك بطرفي شاربيه ويبرمهما في زهو واستغراق، هذا على ايام الطربوش، اما في ايامنا هذه، فقد يغازلها بكلمة رقيقة او باغنية تعظم الجمال. واذا كان لبنانيا فانه يغمز باحدى عينيه هاتفاً: «سبحان الله.. شو هالجمال.. يقصف عمرك ما أحلاك».

انذار

■ اوقف الشرطي سائقا وبدأ يكتب محضر ضبط في حقه لتجاوزه السرعة المطلوبة. فاحتج السائق قائلا: «ألا يحق لي بانذار قبل المحضر؟»
اجاب الشرطي: «طبعاً... اليك الانذار: اذا لم تتقيد بقوانين السير في المرة المقبلة، فسأكتب في حقك محضراً اخر...!»

اللص والسعادة

■ القاضي للمتهم: «اضافة الى سرقة المال، اذن، اخذت ايضا الساعات والخواتم والمجوهرات..؟!»
المتهم: «أجل يا سيدي.. فالكل يعلم ان المال وحده لا يجلب السعادة...!»

Bliss
PHARMACY AND CLINIC

Prescribing Pharmacist	كتابة وصفات طبية
Private Prescription	وصفات طبية خاصة
Clinical Nutritionist	أخصائي تغذية
IV Nutrition Drip	التغذية الوريدية
Flu and Travel Vaccination	لقاح ضد الانفلونزا ولقاحات للسفر
Laser Hair Removal	ازالة الشعر بالليزر
Beauty Therapy	التجميل والمساج

HEALTH • BEAUTY • LIFE

We stock a large range of Premium vitamins, supplements and natural products as well as many high-end skincare brands
تتوفر لدينا مجموعة كبيرة من الفيتامينات والمكملات الغذايه والمنتجات الطبيعية. كما لدينا العديد من المنتجات الراقية للعناية بالبشرة

Open 9am to 10pm (Monday to Saturday)
Open 12pm to 9pm to Sundays
107-109 Gloucester Road, London, SW7 4SS
0207 373 4445
www.blisslife.co.uk
gloucesterroad@blisslife.co.uk

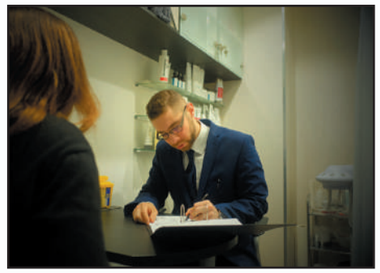

يكتبها الشاعر
رامي اليوسف

سَفَّاح بيروت

بيروتُ تنزفُ والبيوتُ
بالقنابل والشظايا والسلاحْ
ومئاتُ الأبرياء من الضحايا
تحت المباني محاصرون بالقذائف والجراح
بيروت اليوم مطعونة بخنجر الغدر مثقلة
بالحزن والأتراح
على الهواء المباشرْ
وامام صمت المشاعرْ
بعدوان وحشي غادرْ
بيروت العزيزة تستباحْ
لاذنب لها سوى انها تعاند الظلم
وبطش مجرم سفَّاح
هوايته قتل العصافير والفراشات
والتفنن في اصطياد الأرواح
يريد ان يحكم بالنار والدمار
ويبتلع الارض كما التمساح
مشاهد اعادتنا للوراءِ
ممهورة بالرعب والدماءِ
لحصار بيروت وعصر الاجتياحْ
يريدونها بلا ثوب أو رداءِ
ويحكم بحق السماءِ
لن تكون مدينة للموت والاشباحْ
لم تعرفوها بعد كما العنقاءِ
تنفض الغبار عنها بكبرياءِ
وتنهض من تحت الانقاض
لتقاوم الموت والانبطاحْ
تحب الحياة تغني لها
وبالشموخ ترتدي أحلى وشاحْ
كالأرز في قمم الجبالِ
كعلم لبنان ترفرف في الأعالي
كجوريٍ خرافيٍ فوَّاحْ
بيروت ايقونة الجمالِ
وتاريخٌ من النضالِ
ومسيرةٌ من التحدي و الكفاح
لبنان صخرة من العنادِ
سيهزم غطرسة الجلاَّدِ
وينهي حالة الحدادِ
ويصمد في وجه الرياح
يا ايها العالم المصاب بالصمت
والعمى الأبدي والكُساح
يا من ارهقتنا بعبارات
الشجب والقلق وعدم الارتياح
الى متى سيبقى العدل غائبا
والحق ضائعا
والظلم هو المُباح
لا حل بالحروب والعتادِ
ولا بقوة البطش والاضطهادِ
ولا بمنطق القتل والأحقادِ
فالعدل والحق هما المفتاح
ونبقى نصلي للسلامِ
للخير في زمن اللئامِ
للغد الآتي للأحلامِ
الى أن تنقشع الغيومُ
وتشرقَ شمس الصباحْ
فلا بد في نهاية هذا المطافِ
ان تعود مواسمُ الحب والزفافِ
ويعود الأملُ الى كل الضفافِ
والاغاني والافراحْ

Back cover (Hammamat) 17/7/04 10:16 Page 1

The Scent of Jasmine and Mediterranean Mystique

Welcome to Le Royal Hammamet, just steps from the Marina and seaside adventure. The hotel boasts 266 rooms with private balconies, Satellite TV, Wifi internet, 24-hour room service and all the facilities of a five-star hotel. Moorish architecture, sandy beaches and manicured gardens add to the propertys' charm. Five restaurants and bars offer the best of food and beverage, with both local and international flavours. The property features four swimming pools, two tennis courts, water-sports and a deluxe Spa center. The Cleopatra Convention Centre is the ideal venue for events.

Luxembourg | Luxembourg

Amman | Jordan

Beirut | Lebanon

Sharm El Sheikh | Egypt

El Minzah | Morocco

Villa de France | Morocco

www.leroyal.com